

روسيا في الشرق الأوسط

Aron Lund آرون لوند

ترجمة: يوسف سامي مصري



المركز الكردي للدراسات

جميع حقوق الترجمة محفوظة للمركز الكردي للدراسات  
بوخوم - ألمانيا

## المحتوى

### الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط

#### سياسة ما بعد الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط

- الصدمة الشيشانية
- إعادة تأكيد الخصوصية الروسية
- المشاركة الشرق أوسطية في عهد بوتين
- التحدث مع الجميع، التجارة مع الجميع
- ميديفيدف: فترة ابتعاد بوتين للصف الثاني

### روسيا والربيع العربي

- نقطة التحول الليبية
- التخندق القومي الاستبدادي
- سوريا كمشكلة وفرصة
- التدخل الروسي
- تقلب خيارات العلاقة مع تركيا

### بعد سوريا: تقييم الدور الروسي الجديد

- المصالح الاقتصادية لا تزال هي المفتاح
- شهية روسيا المتزايدة: حالتا ليبيا ولبنان
- ميزة السلطوية

### من يدير سياسة الشرق الأوسط الروسية؟

- قادировف: وكيل أو مستقل؟
- ظاهرة فاغندر

### الاستنتاجات: استراتيجية أم ارتجال؟

#### المصادر

#### كتب وتقارير

#### مقابلات

## نبذة مختصرة

عادت روسيا إلى الشرق الأوسط منذ تدخلها عسكرياً في سوريا في عام 2015، وغيّرت بهذا التدخل ساحة المعركة وأنقذت حلفائها، وأرست نفسها أيضاً كقوة دافعة في الدبلوماسية الدولية بشأن سوريا. وفي الوقت نفسه، تبيع موسكو أسلحة بقيمة مليارات الدولارات للجزائر ومصر، وتتعاون مع المملكة العربية السعودية لوضع يدها على أسعار النفط العالمية. كما تعمل روسيا عن كثب مع إيران وتركيا وإسرائيل في سوريا وتحفظ بعلاقات مع قطر والإمارات العربية المتحدة ومجموعة من الدول الأخرى- العديد منها معادٍ لبعضها البعض لكنها صديقة لروسيا.

إذا نظرنا إلى الوراء في نهوض روسيا للتأثير في الشرق الأوسط منذ الربيع العربي عام 2011، يبدو من الواضح أن نجاحات الرئيس فلاديمير بوتين تنبع من استراتيجية مطبّقة بشكل ثابت أكثر من الاستغلال الفعّال والواقعي للفرص الجديدة والأخطاء الغربية.

ومع ذلك، هناك حدود لمدى قدرة روسيا على النهوض، وسيتميّز على بوتين أن يراقب خطواته وهو يتحرّك أعمق في منطقة مليئة بالصراعات المعقدة والمتشابكة. لا تزال البصمة الإقليمية لموسكو حتى اليوم صغيرة بالمقارنة مع بصمة الولايات المتحدة، وهي غارقة في الخلل الاقتصادي والهيكلية في الداخل، ومن غير المؤكّد أن طموح الكرملين العالمي المتضخم يمكن أن يستمر على المدى الطويل. و تزداد المخاطر مع ازدياد شهية روسيا للنهوض.

تتعقب هذه الدراسة دور موسكو في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بدءاً من الحقبة السوفييتية وحتى يومنا هذا. كما تسعى إلى تسليط الضوء على ما يدفع ارتباط الكرملين بالمنطقة، وكيف يستجيب الممثلون المحليون للسياسة الروسية، والدور الذي تقوم به روسيا في الشرق الأوسط.<sup>1</sup>

## الاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط

روسيا ليست جديدة على الشرق الأوسط. فقد كانت الإمبراطورية الروسية تتاجر وتتصارع لقرون مع بلاد فارس والإمبراطورية العثمانية، في حين كان العالم العربي "يقع خارج حدود الطموحات الجيوسياسية لسانت بطرسبرغ."<sup>2</sup> وفي نهاية المطاف، عكس الاتحاد السوفييتي هذا النظام، وإن كان بدافع الضرورة أكثر منه بدافع الاختيار. واقتحم المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية مثل الثور في متجر صيني، واستغرق الأمر مع الدكتاتور السوفييتي جوزيف ستالين بضع سنوات فقط لتنفير كل قوة إقليمية ذات أهمية. كما دفعت المغامرة السوفييتية قصيرة الأمد في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، الانفصاليين الكردي والأذريين بإيران إلى المعسكر الموالي للغرب<sup>3</sup>، ووضعت صيحات السيوف العسكرية تركيا المحايدة على طريق عضوية

<sup>1</sup> إنني أقدر بامتنان المساعدة التي قدمتها ليلي ماكاشوفا، المتدربة في المعهد السويدي للشؤون الدولية 2018، في الترجمة والبحث باللغة الروسية.

<sup>2</sup> Dmitri Trenin, *What Is Russia Up to in the Middle East?*, Polity Press, 2018, p. 16.

<sup>3</sup> Nikki R. Keddie, *Modern Iran: Roots and Results of Revolution*, Yale University Press, 2003, p. 110 ff; Alexey Vasiliev, *Russia's Middle East Policy: From Lenin to Putin*, Routledge, 2018, p. 23. Vasiliev notes that Soviet-Iranian relations improved after 1963, when the Shah promised not to allow US missiles to be based in Iran. Vasiliev 2018, p. 52.

الناتو،<sup>4</sup> ودعم ستالين استقلال إسرائيل ضد القوة الإقليمية المتصاعدة للقومية العربية.<sup>5</sup> ثم انقلب مرة أخرى ضد إسرائيل أيضاً.<sup>6</sup>

على الرغم من أن هذه الجروح كانت في الغالب جروحاً ذاتية، إلا أنها كانت ضارة جداً بموقف موسكو الاستراتيجي. كانت الدول الثلاث التي اعتبرتها موسكو في الصف الشمالي في الشرق الأوسط - إيران وتركيا وأفغانستان - وتحظى بالأولوية في التفكير الجيوسياسي السوفياتي على الدول العربية ذات الأغلبية الجنوبية.<sup>7</sup> ومع ذلك، ستنقى موسكو بالرغم من خطأ ستالين في وضع غير مؤات في تركيا وإيران طوال فترة الحرب الباردة.

قدّم نموّ النفوذ السوفييتي في جميع أنحاء العالم العربي في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي بعض التعويض. ومع أن العقيدة الشيوعية لا تحظى بشعبية بسبب الإلحاد، ولكن، ومع ذلك فقد تناغم الاتحاد السوفييتي بشكل صريح مع حركات التحرير في العالم الثالث مع القوميين العرب.<sup>8</sup> واختلّطت معاداة الاستعمار بأحلام المساواة الاجتماعية، والسياسة العربية المتشددة بالفعل ضد الغرب بسبب مجموعة من المظالم: طرد إسرائيل 1947-1949 للفلسطينيين، والحرب الجزائرية 1954-1962، وحلف بغداد 1955، وأزمة السويس 1956، على سبيل المثال لا الحصر.

تمكّن خليفة ستالين، نيكيتا خروتشوف من خلال تخفيف قيود الأيديولوجية، وتقديم المساعدة إلى الدول الجديدة والمناضلة، والتعامل مع القضايا القومية الشعبية مثل النضال الفلسطيني، من القفز على الجدار التركي الإيراني وإنشاء قواعد جديدة للدعم في الأجزاء العربية من الشرق الأوسط.<sup>9</sup>

<sup>4</sup> Talal Nizameddin, *Russia and the Middle East: Towards a New Foreign Policy*, St Martin's Press, 1999, p. 221-222; Vasiliev 22-23.

Turkey joined NATO in 1952, in what Trenin calls "a major coup for the West in the Cold War." Trenin 2018, p. 19.

<sup>5</sup> The Soviet Union was the first country to recognize Israel, and Communist Czechoslovakia delivered much-needed arms to the Jewish forces. Aryeh Dayan, "The Communists Who Saved the Jewish State," *Ha'aretz*, May 9, 2006, <https://www.haaretz.com/1.4904990>.

<sup>6</sup> Soviet-Israeli relations deteriorated rapidly after 1948, alongside an anti-Semitic outburst in the Soviet Union itself that culminated in the so-called Doctor's Plot and was ultimately aborted only by Stalin's death. Primakov traces the anti-Jewish campaign to a cynical ploy by feuding party chiefs. See Yevgeny Primakov, *Russia and the Arabs: Behind the Scenes in the Middle East from the Cold War to the Present*, Basic Books, 2009, p. 254-259.

<sup>7</sup> Afghanistan had served as an arena for great power conflict already in the 19th century, during the Russian-British "great game." The significance accorded to Iran and Turkey is not difficult to understand. Both are regional powers with considerable cultural influence, whose imperial pasts are closely intertwined with Russia's own. Their combined population is larger than that of modern Russia and each is strategically located in its own way, dominating the opposite shores of the Black Sea and the Caspian. Iran has large hydrocarbon resources and overlooks the world's most oil-rich region, the Persian Gulf, and the oil trade chokepoint at the Hormuz Straits. Turkey's Bosphorus Straits control access to the Black Sea, which, to quote the British specialist on Soviet strategy Michael McCwire, becomes in times of war a "grenade in Russia's gut." Michael McCwire, "The Middle East and Soviet Military Strategy," *Middle East Report* No. 151, March-April 1988.

<sup>8</sup> Vasiliev 2018, p. 24-27.

<sup>9</sup> At the ideological level, Khrushchev oversaw a pragmatic softening of Party doctrine in the 1950s and 1960s, which made it known that Moscow wanted friendly ties with non-Communist groups and nations, as long as they showed signs of a "socialist orientation." Such status would soon be bestowed as "a matter of political expediency," almost like diplomatic recognition. Irina Filatova, "The Lasting Legacy: The Soviet Theory of the National-Democratic Revolution and South Africa," *South African Historical Journal*, Vol. 64, No. 3, 2012, pp. 507-537.

كان محور الموقف الإقليمي الجديد للاتحاد السوفييتي هو مصر، حيث استولى حاكم عسكري، جمال عبد الناصر، على السلطة من الملك فاروق المدعوم من بريطانيا. وعلى الرغم من أنه بدأ قريباً من الولايات المتحدة، إلا أن عبد الناصر سرعان ما شعر بخيبة أمل من إجماع أمريكا عن بيعه أسلحة حديثة للصراع مع إسرائيل. وأدت صفقة الأسلحة الرائدة التي قامت موسكو بتسهيّلها عبر تشيكوسلوفاكيا في عام 1955 إلى كسر احتكار الغرب لمبيعات الأسلحة إلى الدول العربية وجذبت عبد الناصر إلى المدار السوفييتي. وبحلول نهاية الخمسينيات برزت مصر كأكبر متلقٍ للمساعدات العسكرية السوفييتية في العالم الثالث ونقطة انطلاق لاستمرار تغلغل الاتحاد السوفييتي في المنطقة.<sup>10</sup> وعلى الرغم من أن مصر ظلت التابع الرئيس لموسكو، إلا أن الاتحاد السوفييتي سرعان ما أقام علاقات ودية مع الأنظمة اليسارية الجمهورية الأخرى في الجزائر وليبيا وجنوب اليمن وسوريا والعراق، بالإضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية. ومع ذلك، وحتى إذا تعاونت هذه الدول مع موسكو وطلبت كميات وفيرة من الأسلحة السوفييتية، فإن سيطرة الكرملين على سياستهم كان محدوداً للغاية، باستثناء جنوب اليمن الذي كان الدولة الوحيدة فقط المتحيّزة بالكامل للاتحاد السوفييتي وتحت سيطرة حزب ماركسي لينيني. ولكن حتى هناك سعى الكرملين من أجل السيطرة على السياسة المحلية.<sup>11</sup> كان الشركاء الإقليميون للاتحاد السوفييتي كقاعدة عامة، عنيدون وقوميين ومستبدين لا يريدون تقاسم السلطة سواء على الصعيد المحلي أو مع حلفاء أجنبي.<sup>12</sup>

وجد القادة السوفييت مراراً وتكراراً مثل منافسيهم الأمريكيين، "الذيل الذي يهز الكلب"، حيث تمّ جرّهم ضد إرادتهم إلى نزاعات غير مرغوب فيها من قبل حلفاء الشرق الأوسط الذين كانوا "واقفين من أن الظروف ستجبر موسكو على الاستمرار".<sup>13</sup>

ظلت معظم دول الشرق الأوسط وبصرف النظر عن الجمهوريات اليسارية والقومية مرتبطة بقوة بالمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة، وخاصة الممالك المحافظة في الخليج العربي. ولم يكن لمعظم دول الخليج علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي، وكانت الكويت استثناءً بارزاً. كما قطعت موسكو العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل بعد حرب الأيام الستة عام 1967، والتي اجتاحت فيها القوات اليهودية الجيوش العربية المدعومة من الاتحاد السوفييتي، وكان الكرملين ينتقد إسرائيل بانتظام كموقع للإمبريالية الأمريكية.<sup>14</sup>

<sup>10</sup> Nizameddin 1999, p. 24; Vasiliev 2018, p. 35–36.

<sup>11</sup> As the senior Party official and Middle East specialist, Karen Brutents, recalled in 1998: "Despite the very close – closer than with any other Arab state – relations with South Yemen, where there were about 500 Soviet military advisers and at different times from 1.5 to 4 thousand civilians, we were not able to seriously affect the course of events in this small country." Cited in Vasiliev 2018, p. 162.

<sup>12</sup> For example, Abdel-Nasser continued to crack down on Communists intermittently in the 1950s and 1960s, even at the height of his relationship with the Soviet Union. In 1965 the Egyptian Communist Party was forced to dissolve in return for a subservient role within Abdel-Nasser's own Arab Socialist Union. In Iraq, the Baath Party massacred members of the Iraqi Communist Party when it briefly ruled the country in 1963. When the Baathists returned to power in 1968, they sought to co-opt Communists, largely to please the Soviet Union. However, around the time of Saddam Hussein's takeover in the late 1970s, the party was again persecuted and driven underground, where it joined the opposition and condemned the Iraqi government as "fascist." Nonetheless, Iraqi-Soviet ties continued to develop, and Soviet officials reluctantly turned a blind eye to the plight of their Iraqi comrades. For a useful survey of how Apart from South Yemen, Soviet-backed Communist parties fared in various Middle Eastern nations, see Vasiliev 2018, pp. 130–159. no Soviet-allied Arab state allowed Moscow-backed Communist parties much room for maneuver.

<sup>13</sup> Primakov 2009, p. 156, 182–183.

<sup>14</sup> Primakov 2009, p. 259–261.

ومع ذلك، وفي حين أن معاداة السوفيين للصهيونية كانت قاسية و "مزروعة بجرعات من معاداة السامية"، فقد تمسك قادة موسكو بفكرة نوع من التسوية الإقليمية أو السياسية، بدلاً من تأييد دعوة المتطرفين العرب لتدمير إسرائيل.<sup>15</sup> كان الصراع العربي الإسرائيلي بالنسبة لجميع الأطراف، القضية السياسية المركزية في المنطقة، وهو ما أثار الاهتمام والتعاطف عبر أنحاء العالم مع الشرق الأوسط. لقد اعتبرت كل قوة عظمى الشرق الأوسط بمثابة حلبة يتعين عليها إثبات أهميتها في تلك الحلبة، وذلك حتى عندما "تتشاطر كلاهما خوفاً صحياً من الصراع العربي الإسرائيلي بأبعاده العالمية."<sup>16</sup> جاءت أقرب دعوة خلال حرب أكتوبر عام 1973، عندما هدّد الاتحاد السوفيتي بالتدخل ما لم يتم إيقاف إسرائيل عن توجيه الضربات للجيش المصري مرة أخرى، والذي استجاب له البيت الأبيض برفع مستوى التأهب النووي. كان لهذا "تأثير فظيع" وتراجع الجانبان بسرعة لفرض وقف لإطلاق النار.<sup>17</sup>

بحلول ذلك الوقت، كانت مصر قد بدأت بالتخلي عن أحضان الكرملين، وتبحث عن صفقة أفضل مع الولايات المتحدة. راقبت موسكو بفزع متصاعد عندما طرد الرئيس أنور السادات، الذي تولى السلطة بعد وفاة عبد الناصر في عام 1970، المستشارين السوفيت، وأغلق القواعد البحرية السوفيتية، وأخيراً وقّع اتفاقات كامب ديفيد في العام 1978، التي سحبت مصر من الصراع العربي الإسرائيلي.

كان انشقاق الرئيس السادات بمثابة ضربة لم يتعاف منها النفوذ الإقليمي لموسكو أبداً، واستمرت في صنع السياسة السوفيتية والروسية باعتبارها تذكيرة لخطر الإفراط في الالتزام بالقيادة المحليين المتقلبين. اضطرت موسكو مع تغيير مصر لتحالفها، إلى الاعتماد بشكل أكبر على سوريا لتظل ذات صلة بالشؤون العربية الإسرائيلية، لكن الاستراتيجية السوفيتية أصبحت الآن دفاعية ومنفصلة بالكامل، وأثبت الرئيس السوري حافظ الأسد أنه شريك مكيفيلي صعب.

بدا سقوط شاه إيران عام 1979، وهو حليف رئيسي للولايات المتحدة، لفترة وجيزة كما لو أنه قد يقبل الطاولة لصالح موسكو. وبذل المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي قصارى جهده لملاقاة النظام الإسلامي الشيعي الجديد، بما في ذلك إيقاف شحنات الأسلحة إلى عراق صدام حسين عندما هاجم إيران عام 1980 وشنّ حرباً استمرت حتى العام 1988.<sup>18</sup> ومع ذلك، اتضح أن معاداة آية الله الخميني لموسكو كانت شرسة تقريباً مثل معاداته لأمريكا، وظلت طهران تشكك ببرود في الاتحاد السوفيتي.

هناك تطور إيجابي آخر على ما يبدو بالنسبة للاتحاد السوفياتي وثورة ثور عام 1978 في أفغانستان (ثورة قادها الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني ضد نظام الرئيس الأفغاني محمد داود خان في 27-28 أبريل 1978. كانت الحكومة في ذلك الوقت تحت قيادة داود، الذي كان

<sup>15</sup> .Nizameddin 1999, p. 111

<sup>16</sup> .Primakov 2009, p. 253

<sup>17</sup> Sergey Radchenko, "Stumbling Toward Armageddon," New York Times, October 9, 2018,

<https://www.nytimes.com/2018/10/09/opinion/stumbling-toward-armageddon.html>

<sup>18</sup> In a February 1981 speech, Brezhnev even hopefully suggested that the "liberation struggle can also be waged under the banner of Islam" but still there were no takers. Trenin 2018, p. 28

قد أطاح قبل ذلك بابن عمه الملك محمد ظاهر في 1973. "ثور" هو الاسم الداري للشهر الثاني من التقويم الفارسي، الشهر الذي وقعت فيه الثورة. المترجم) والتي جلبت الماركسيين إلى السلطة في هذا الجار الفقير ولكن المهم من الناحية الاستراتيجية.

ومع ذلك، لم يسيطر الاتحاد السوفياتي على تلك الثورة الشيوعية في الواقع، ولم تؤدي إلا إلى زعزعة الاستقرار في جار مرن بالفعل.<sup>19</sup> وسرعان ما تحول النجاح إلى كارثة حيث خاضت الفصائل الشيوعية الأفغانية المتناجزة فيما بينها في الوقت الذي عانى فيه السكان إلى حد أن الريف انفجر على شكل تمرد. وهنا بدأ القادة السوفييت يشعرون بالقلق من احتمال أن تنزاح كابول، على غرار مصر، إلى الجانب الأمريكي، أو أن النظام يمكن أن يؤول إلى الأصوليين كما في إيران.<sup>20</sup>

قام الاتحاد السوفياتي في أواخر عام 1977، بغزو أفغانستان واستبدل القيادة في كابول بفصيل أكثر مرونة.<sup>21</sup> وأثار هذا الغزو احتجاجات في جميع أنحاء العالم وشوّه صورة موسكو في العالم الإسلامي. كان الغزو من وجهة نظر الكرملين خطوة دفاعية في نطاق نفوذه الخاص، على الرغم من اعتراف السوفييت بأنه كان خطأً فظيلاً. وسارعت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية والباكستان بسرعة لدعم المقاتلين الإسلاميين، مُحاصرين الاتحاد السوفياتي في حرب دامت عشر سنوات وأدت إلى استنزاف الموارد، وتنفيذ الحلفاء وإحباط المواطن السوفييتي، كما أدى الغزو إلى مقتل أكثر من مليون أفغاني.<sup>22</sup>

لم يكن الأمر أقل أهمية بالنسبة للشرق الأوسط، فقد جذب الكفاح ضد السوفيات المقاتلين المتطوعين العرب إلى الجانب الأفغاني، ممّا أدى إلى ظهور الإيديولوجية الأصولية المتشدّدة المعروفة الآن باسم السلفية الجهادية. وعندما بدأ الاتحاد السوفيتي الانسحاب في عام 1988، أنشأت مجموعة من هؤلاء المقاتلين بقيادة أسامة بن لادن تنظيم القاعدة لمواصلة الحرب خارج أفغانستان.<sup>23</sup>

### ردود فعل دول الشرق الأوسط حيال الغزو السوفييتي لأفغانستان

سجل التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرار 2 \ ES\_6 الذي استنكر الغزو ودعا للانسحاب الفوري للقوات السوفييتية:

**المصوّتين لصالح القرار:** البحرين، مصر، إيران، العراق، إسرائيل، الأردن، الكويت، لبنان، موريتانيا، المغرب، عُمان، قطر، العربية السعودية، تونس، تركيا، الإمارات العربية المتحدة.

<sup>19</sup> Vasiliev 2018, p. 209–211

<sup>20</sup> Gregory Feifer, The Great Gamble: The Soviet War in Afghanistan, Harper Collins, 2009, pp. 1–14, 49–50; Vasiliev 2018, p. 216

<sup>21</sup> On the background to the war and its conduct, see Feifer 2009 and Vasiliev 2018, p. 208–238

<sup>22</sup> Conservative estimates put Afghan deaths at 1,25 million, or 9 percent of the population, with "another three-quarters of a million wounded." Feifer 2009, p. 4

<sup>23</sup> كمال الطويل قصة الجهاديين العرب: القاعدة وأخواتها، دار الساقى، 2007 ص 33-34

الغائبون عن الجلسة: الجزائر، ليبيا، اليمن الشمالي، السودان، سوريا.

المصوّتون ضد القرار: اليمن الجنوبي.

صدر القرار في 14 كانون الثاني/يناير 1980 بواقع 104 أصوات مع، و 18 ضد، والغياب 8. (المصدر الأمم المتحدة، الكتاب السنوي 1980)

كان الاتحاد السوفييتي بحلول الوقت الذي تولى فيه ميخائيل غورباتشوف السلطة في عام 1985، يتراجع اقتصادياً وسياسياً. وكان عالقاً في حرب ميؤوس منها في أفغانستان " ولم يكن له أي حليف جدير بالثقة في الشرق الأوسط".<sup>24</sup> وحتى العراق بدأ يتحوّل بعيداً عن الجانب السوفييتي، وطلب المساعدة الأمريكية والخليجية ضد إيران، وكان جميع شركاء موسكو العرب غير قادرين على سداد الديون التي تراكمت عليهم على مدار سنوات من إمدادات الأسلحة. ومما زاد الطين بلة بالنسبة للاقتصاد السوفياتي الذي يعتمد على النفط، تراجع أسعار النفط في عام 1985، ويُعزى ذلك جزئياً إلى زيادة الإنتاج في المملكة العربية السعودية.

حاول غورباتشوف أثناء قيامه بالإصلاحات الليبرالية في الداخل، وضع السياسة الخارجية السوفييتية على أسس أكثر استدامة من خلال الانسحاب من أفغانستان والسعي إلى التعايش والتعاون مع الغرب. وقد أدى مذهب "التفكير الجديد" إلى إذابة جليد العلاقات مع إسرائيل وممالك الخليج، لكنه كشف عن أخبار سيئة للشركاء العرب التقليديين للاتحاد السوفييتي.<sup>25</sup>

سقطت الجزائر التي تعتمد على النفط في حالة من الفوضى في عام 1988، واندلعت فيها حرب أهلية مدمرة بعد أن تمّ الانقلاب على نتائج أول انتخابات حرّة من قبل العسكر في عام 1992. وفي عام 1990 سقط وذاب اليمن الجنوبي الشيوعي وسط القتال الضاري والتدهور الاقتصادي، ولتيم ابتلاعه في النهاية من قبل اليمن الشمالي. وبالإضافة إلى ذلك انخرطت ليبيا وسوريا في حالة من الجمود الخاطئ، وأثارت مؤامرات الزعيم الليبي معمر القذافي المعادية للغرب غضب واشنطن وقادت الاتحاد السوفييتي أخيراً إلى التعب منه. وفي عام 1986، أعلن غورباتشوف أنه لن يموّل سباق التسلح السوري مع إسرائيل والذي يحرق قوة الروبل الروسي، وهو ما أدى إلى فتور العلاقات مع سوريا وجعل الرئيس حافظ الأسد يبحث عن سبل لإصلاح العلاقات مع الولايات المتحدة.

كان غزو صدام حسين للكويت في آب/أغسطس 1990 بمثابة نقطة نهاية دراماتيكية للعصر السوفييتي في الشرق الأوسط. وانضمت موسكو في البداية إلى جوقة الإدانة وصوّتت لتدخل الأمم المتحدة، لكن تعثرت السياسية السوفييتية بعد ذلك في رسائل "مربكة ومتغيرة ومثيرة للجدل ومتناقضة" حيث اتجه غورباتشوف نحو تفكير جديد ضد ردود الفعل بين المتشدّدين في الحزب الشيوعي.<sup>26</sup> ووقف الاتحاد السوفياتي جانبا، وتولّت الولايات المتحدة مسؤولية التحالف الذي طرد بسهولة الجيش العراقي من الكويت، وهو ما مهّد الطريق لعصر جديد.

<sup>24</sup> .Nizameddin 1999, p. 40

<sup>25</sup> .Nizameddin 1999, pp. 45 ff, 56

<sup>26</sup> Graham E. Fuller, "Moscow and the Gulf War," Foreign Affairs, Summer 1991, <https://www.foreignaffairs.com/articles/russia-fsu/1991-06-01/moscow-and-gulf-war>. Tension over



وصل الاتحاد السوفياتي إلى نهايته التي تأخرت طويلاً في شهر كانون الأول/ديسمبر عام 1991، حيث تُرك لوحده وحاصرتة 14 دولة مستقلة حديثاً، وستضطر روسيا المقطوعة والمضطربة الآن إلى إيجاد دورها الخاص على المسرح العالمي.<sup>27</sup>

عندما نظرت روسيا المستقلة إلى الشرق الأوسط، وجدت نفسها خالية من القيود الأيديولوجية التي حدّت من السياسة السوفييتية بعدّة طرق، لكن روسيا كانت أيضاً أضعف بكثير من الاتحاد السوفياتي وانشغلت بالمشاكل في الداخل وفي الخارج القريب. لم تعني نهاية الحرب في أفغانستان ثم في الاتحاد السوفييتي أن موسكو قد تتوقف عن القلق بشأن منطقة القوقاز وآسيا الوسطى. وكانت الأراضي السوفييتية السابقة قد تفكّكت إلى مجموعة من الدول الإسلامية السنية الأصغر حجماً، وكان العديد منها عرضة للاضطرابات الانفصالية أو الدينية أو العرقية التي بدت للقادة الروس، بمثابة دعوة للتدخل الأجنبي عبر تركيا أو إيران. بالإضافة لذلك كان التطرّف الإسلامي يتسلل بالفعل إلى المنطقة من العالم العربي وأفغانستان، ممّا أثار مخاوف من أنه سيكون بمثابة حزام سير لمشاكل الشرق الأوسط في روسيا نفسها، التي يبلغ عدد سكانها 10-15 في المئة من المسلمين السنة.

شهدت سنوات الاستقلال الأولى في عهد بوريس يلتسين، الذي شغل منصب رئيس روسيا من 1991 إلى 1999، نشاطاً ضئيلاً في الشرق الأوسط. واستمرت وزارة الخارجية في البناء على تراث غورباتشوف من خلال إصلاح العلاقات مع دول الخليج العربية، مع مراعاة الفرص التجارية الجديدة على وجه الخصوص. ومع ذلك، لا يزال الشرق الأوسط يقف على أقل من واحد في المائة من التجارة السنوية لروسيا في منتصف التسعينات.<sup>28</sup> كما بدأت موسكو في بناء علاقة جديدة وثيقة مع إسرائيل، مدعومة بحقيقة أن الهجرة اليهودية السوفييتية قد أوجدت عدداً كبيراً من السكان الناطقين بالروسية في إسرائيل.

قال وزير الخارجية أندريه كوزيريف أثناء قيامه بجولة في دول الخليج عام 1992: "في الماضي كان بلدنا يعتمد على حفنة من دول المنطقة - إيران والعراق وليبيا إلخ، لقد كان هذا اختياراً مؤسفاً للغاية، الآن نحن نفضّل التعامل مع أنظمة مستقرّة ومعتدلة."<sup>29</sup>

---

the Kuwait War was one of the reasons behind Foreign Minister Eduard Shevardnadze's December 1990 resignation, and did much to sour the mood inside the Soviet regime. The hardliners' criticism focused on the loss of prestige involved in abandoning a "strategic ally" (per the Soviet-Iraqi 1972 Treaty of Friendship of Cooperation), as well on the economic losses that would inevitably follow. Despite Baghdad's pro-US turn in the 1980s, the Soviet Union still had major economic interests in Iraq and some estimates put potential Soviet losses from the conflict at \$18 billion. However, Gorbachev's stance also won the Soviet Union some Gulf Arab economic aid and credits. Nizameddin .1999, pp. 61-65, 189-190

As Russian Middle East expert Dmitri Trenin has put it, "The Soviet Union was about an idea."<sup>27</sup> Russia's idea is about Russia itself." Quoted in Michael Young, "The View from Moscow," Carnegie .Middle East Center, January 14, 2019, [carnegie-mec.org/diwan/78114?lang=en](https://www.carnegie-mec.org/diwan/78114?lang=en)

Nikolay Kozhanov, "Russian Policy Across the Middle East: Motivations and Methods," Chatham <sup>28</sup> House, February 21, 2018, <https://www.chathamhouse.org/publication/russian-policy-across-middle-east-motivations-and-methods>, p. 3

.Quoted in Nizameddin 1999, p. 190 <sup>29</sup>

انقطعت الاتصالات مع شركاء الحرب الباردة السابقين مثل سوريا والجزائر بشكل كبير. حيث لم يكن لديهم الكثير لتقديمه إلا سداد ديونهم العسكرية الهائلة التي تعود إلى الحقبة السوفييتية، وبغض النظر عن الشكوى المتكررة التي قدمتها موسكو، إلا أنهم لم يفعلوا. ومع ذلك، اختارت روسيا الإبقاء على قاعدة بحرية غير مستخدمة في مدينة طرطوس الساحلية السورية، والتي ستصبح، بعد إغلاق القواعد في فيتنام وكوبا في عام 2002، آخر منشأة عسكرية متبقية خارج الأراضي السوفييتية السابقة.

### الصّدمة الشيشانية

شنت موسكو في 1994-1996 ومرة أخرى في عام 1999، حرباً عنيفة بشكل مفرط ضد المقاتلين الانفصاليين في الشيشان، وهي منطقة سنّية في القوقاز. كان الصّراع الشيشاني في إشارة إلى شبح أفغانستان، مأساوياً ومُحبباً حتى للرّوس الذين أيدوا الحملة، وخلق احتكاكاً خطيراً مع الدول الإسلامية السنّية في الخارج. كما أنه لم يساعد في دعم روسيا للقوات الصّربية ضد المسلمين السنّة في البوسنة والهرسك (1992-1995) وكوسوفو (1998-1999).

على الرغم من أن تمرد الشيشان بدأ كقضية وطنية، إلا أنه تمّ تعبئة المقاتلين باستخدام الشعارات الدينية و تطرّفت الانتفاضة بسرعة وسط الصّدمة المدنيّة والتهجير. كان أحد العوامل المُساهمة في مشاركة جمع التبرعات هم رجال الدين السلفيين في الخليج الذين أرسلوا الأموال والفتاوى الدينية وحتى عدد صغير من المقاتلين المتطوعين العرب إلى القوقاز، وكان الكثير منهم من قدامى المحاربين في الحرب الأفغانية.<sup>30</sup>

وهكذا لفت الصّراع الشيشاني انتباه روسيا مرة أخرى إلى خطر التطرّف الديني وحالة عدم الاستقرار على طول حدودها الجنوبية، حيث تعرّضت دول القوقاز وآسيا الوسطى للتأثيرات السياسية والدينية من الشرق الأوسط وأفغانستان وإيران وتركيا. كما ألهم العنف الشيشاني ردّ فعل عنيف من المسلمين في روسيا، ممّا قوّض التماسك في المجتمع الأوسع.

اتهمت روسيا طوال أواخر عقد التسعينيات من القرن الماضي، المملكة العربية السعودية بدعم التمرد الشيشاني، أو على الأرجح كان ذلك يغض الطرف عن الذين فعلوا ذلك. نفت الرياض الاتهامات الروسية، لكن هجمات 11 أيلول/سبتمبر 2001 على الولايات المتحدة غيرت الوضع. والآن، مارست واشنطن ضغوطاً على المملكة العربية السعودية لإغلاق الجمعيات الخيرية المرتبطة بالجهاديين، بما في ذلك المنظمات المرتبطة بالشيشان. ونتيجة لذلك تعافت العلاقات الروسية السعودية مع انتهاء القتال في الشيشان في أوائل عام 2000.

<sup>30</sup> Mark N. Katz, "Saudi-Russian relations in the Putin era," Middle East Journal, Vol. 55, No. 4, Autumn 2001, pp. 612-617; The most famous of these foreign fighters was a Saudi veteran of the Afghan jihad known as Khattab, who worked with a hardline band of Chechen rebels led by Shamil Basayev and contributed greatly to their indoctrination with Salafi-jihadi teachings. In 1996, the Egyptian jihadi and current al-Qaeda leader Ayman al-Zawahiri was arrested in Dagestan. Zawahiri apparently managed to keep his identity secret and ended up being charged with nothing more serious than illegally crossing the Russian border. On his release, he left for Afghanistan to join Osama bin Laden. Paul Tumelty, "The Rise and Fall of Foreign Fighters in Chechnya," Jamestown Foundation Terrorism Monitor, January 31, 2006, <https://jamestown.org/program/the-rise-and-fall-of-foreign-fighters-in-chechnya>; كمال الطويل، قصة الجهاديين العرب: القاعدة وأخوانها، دار الساقى 2007، ص 290.

كانت أفغانستان شاغلاً رئيسياً آخر لروسيا خلال التسعينيات، حيث كانت تصدّر عدم الاستقرار والتطرف إلى آسيا الوسطى وجنوب روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وكانت حركة طالبان، التي سيطرت على كابول في عام 1996، قد ربطت بسرعة مع المتمردين الشيشان وبدأت أيضاً في استضافة المتطرفين الأوزبك وغيرهم من آسيا الوسطى. حاولت موسكو إضعاف حركة طالبان عن طريق نقل الأسلحة إلى تحالف أمراء الحرب المعروفين باسم تحالف الشمال، ولكن ليس لديها أي استعداد للمشاركة الضخمة في السياسة الأفغانية.

ومن المفارقات أن الثيوقراطية الشيعية في إيران ستصبح الشريك الأكثر فائدة لروسيا في احتواء التشدد الإسلامي. فقد تجاهلت إيران إلى حد كبير القضية الشيشانية، ويعزى ذلك جزئياً إلى أن إيران لم تكن مرتاحة للروابط بين المتمردين السعوديين والسنيين - السلفيين - في إيران شيعية ومعادية للمملكة العربية السعودية - وكانت ترغب في عدم استفزاز الروس. ووفقاً لروزبه بارسي، رئيس برنامج الشرق الأوسط في المعهد السويدي للشؤون الدولية "لا يهم مدى كون الشيشان مسلمين - لن ترفع إيران أصابع الاتهام أبداً لمساعدتهم، لأن العلاقة مع روسيا تتفوق على ذلك. ويصف العلاقة بين روسيا وإيران بأنها "براغماتية للغاية من كلا الجانبين".<sup>31</sup> كما شاركت طهران عداء موسكو لطالبان لأسباب خاصة بها، وعملت بفعالية مع روسيا للقضاء على الحرب الأهلية 1992-1997 في طاجيكستان.

كانت موسكو وأنقرة على خلاف أكثر حول الشيشان، رغم أن أيّاً من الطرفين لم يرغب في ترك خلافتها تخرج عن نطاق السيطرة.

تلاشى التمرد الشيشاني في أوائل عام 2000، وفازت روسيا في الحرب من خلال تطبيق القوة الساحقة وتقسيم الحركة الانفصالية. ولكن استمرت بالمقابل فلول المتشددين في التمرد في المشهد الجهادي الدولي وارتكبت سلسلة طويلة من الهجمات الانتحارية الشنيعة على المدنيين الروس.<sup>32</sup> وفي الوقت نفسه، انتهت الحكومة المحلية الموالية لروسيا في أيدي رمضان قديروف، وهو متمرّد سابق مدعوم من قبل الكرملين. أخرجت دولة قاديروف العشائرية والمحافظة دينياً داخل الدولة موسكو، من خلال خطف وإطلاق النار على المعارضين والانخراط في كل أشكال الجريمة المنظمة.<sup>33</sup> ومع ذلك لا ترغب موسكو بأن تكون الشيشان عشاً للدبابير، لذلك كان الكرملين مستعداً للضرب مرة أخرى، وبالتالي فقد ترك قاديروف يمارس قمع المعارضين بأجهزته الخاصة.

<sup>31</sup> Author's interview with Rouzbeh Parsi, Stockholm, October 2018

<sup>32</sup> Adam Taylor, "Analysis: The recent history of terrorist attacks in Russia," Washington Post, April 3, 2017, <https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2017/04/03/the-recent-history-of-terrorist-attacks-in-russia>. In 2007, a "Caucasus Emirate" was declared as a jihadi government across the Caucasus. It would later be displaced by a local affiliate of the so-called Islamic State. "The North Caucasus Insurgency and Syria: An Exported Jihad?," International Crisis Group, Europe and Central Asia Report No. 238, March 16, 2016, <https://www.crisisgroup.org/europe-central-asia/caucasus/north-caucasus/north-caucasus-insurgency-and-syria-exported-jihad>, p. 2

<sup>33</sup> Like Walking a Minefield: Vicious Crackdown on Critics in Russia's Chechen Republic," Human Rights Watch, August 2016, [https://www.hrw.org/sites/default/files/report\\_pdf/chechnya0816\\_2.pdf](https://www.hrw.org/sites/default/files/report_pdf/chechnya0816_2.pdf)

إن الحروب في الشيشان تتلاشى الآن ببطء، لكن إرثها البائس وغير المرضي موجود إلى حدٍ كبير. ولا يزال الوضع في القوقاز بمثابة تذكير قوي لصانعي السياسة الروس بالدور الذي يمكن أن تلعبه الإسلاموية والفوضى في الشرق الأوسط في تحفيز "ضعف روسيا الناعم".

### إعادة تأكيد الخصوصية الروسية

بحلول منتصف التسعينيات من القرن الماضي، كانت السياسات الخارجية الصديقة للغرب التي يمثلها كوزيريف قد تمّت تحييتها جانباً بسبب عودة الحنين إلى القوة العظمى. كان بروز يفغيني بريماكوف يمثل عودة روسيا إلى سياسة خارجية أكثر تشدداً واستقلالية، وهو مراسل سابق معروف لصحيفة برافدا في الشرق الأوسط والبلاد العربية، والذي تولّى منصبه كرئيس للمخابرات الخارجية (1991-1996)، ثم كوزير خارجية (1996-1998)، وأخيراً رئيساً للوزراء (1998-1999).

لم يكن لدى بريماكوف أي رغبة في العودة إلى "المخاوف الأيديولوجية الوهمية" في الأيام السوفييتية، لكنه تصوّر روسيا التي كانت منفصلة بوضوح عن الغرب، على الرغم من أنها ليست بالضرورة في معارضة مستمرة له.<sup>34</sup> لقد تحدّثت روسيا الولايات المتحدة وأوروبا مراراً وتكراراً، بما في ذلك كوسوفو، التي أثارت إعجاب الجمهور الذي أحبطته عجز روسيا الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

عملَ بريماكوف في الشرق الأوسط على إعادة بناء العلاقات مع العراق، والضغط من أجل فرض عقوبات أكثر نعومة وليونة من الأمم المتحدة وإدانة الغارات الجوية الأمريكية في عامي 1996 و 1998. كما سعى إلى الجهات الفاعلة الأخرى التي تجنّبها الغرب. ستجتمع وزارة الخارجية في عهد بريماكوف، مع كل من إسرائيل وحزب الله، متجاهلة الاعتراضات الإسرائيلية والأمريكية على ما يعتبرونه أن الحزب جماعة إرهابية.<sup>35</sup> ربما كانت الاحتجاجات جزءاً من عامل الجذب - لقد أرادت روسيا بريماكوف أن تضع لنفسها مكانة خاصة لم تكن في القلب الغربي على وجه التحديد.

ومع ذلك، كانت يد بريماكوف ضعيفة للعب في المنطقة الأقرب إلى قلبه. وحاول عبثاً رفع مكانة روسيا من خلال الانخراط في محادثات السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل وسوريا، لكنه قوبل بالرفض، وصرّح بيريز أنه: "نحن بحاجة فقط إلى وسيط واحد وينبغي أن تكون الولايات المتحدة" وجدّ بريماكوف أن مثل هذه المواقف "غير مقبولة تماماً"، لكن لا يمكنه فعل الكثير حيالها.<sup>36</sup> ولم تستطع اللغة الصاخبة والمرافقين الأكثر حدّة إخفاء حقيقة أن روسيا ظلت دولة ضعيفة ومليئة بالأزمات، والتي تخلفت عن سداد ديونها في عام 1998.<sup>37</sup>

<sup>34</sup> Primakov 2009, p. 62

<sup>35</sup> Nizameddin 1999, p. 176

<sup>36</sup> Primakov 2009, p. 296-297

<sup>37</sup> Post-Soviet economic woes also blunted Moscow's tools for Middle Eastern engagement: Russia's cadre of regional specialists withered, as trained linguists and political scientists left for better-paid jobs in the private sector or at universities abroad. By 1997, even the Institute for Oriental Studies in Moscow – a venerable institution particularly close to the heart of Primakov, who had been its head from 1977 to 1985 – had seen its salaries so badly hollowed-out that "the academic and nonacademic

كان بريماكوف يأمل في أن يخلف يلتسين المريض لكنه كان مصاباً بالفزع من الظهور المفاجئ لفلاديمير بوتين من أعماق جهاز المخابرات.<sup>38</sup> تمَّ تعيين بوتين رئيساً بالوكالة في 31 كانون الأول/ديسمبر 1999، وانتخب رئيساً بشكل رسمي في آذار/مارس 2000. واصل بوتين الذي كان يُنظر إليه في الأصل على أنه الشخصية الأكثر وديّة عند الغربيين، البناء على أجزاء من تراث بريماكوف الشعبي والقومي. وتبيّن على وجه الخصوص رؤية بريماكوف الشاملة لعالم "متعدّد الأقطاب"، حيث يجب على روسيا أن تتعايش مع الولايات المتحدة كقوة رئيسية بين القوى الأخرى.

## العودة للشرق الأوسط في عهد بوتين

تهدف سياسة موسكو للشرق الأوسط في أواخر التسعينيات وفقاً لطلال نظام الدين، الباحث في العلاقات الروسية العربية، إلى "ضمان الاستقرار، وتقليل النفوذ الأمريكي، والسّماح بالوصول العادل إلى التجارة والعلاقات الاقتصادية العامة."<sup>39</sup> وهنا، تلوح في الأفق بعض البلدان أكثر من غيرها: كانت تركيا وإيران والعراق تستحق الاهتمام الروسي، في حين شكّلت سوريا وإسرائيل والمملكة العربية السعودية المرتبة الثانية.<sup>40</sup>

ظل العالم العربي غير متأثر إلى حدٍ كبير بموجة التحرُّر السياسي التي اجتاحت العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، باستثناء جنوب اليمن، الذي لم يعد له وجود، والجزائر التي أنهت دولة الحزب الواحد والتي خرجت لِقوّها من الحرب الأهلية، ولم يتغير شيء منذ السنوات الأخيرة من الحرب الباردة. فقد استمرَّ معمر القذافي في حكم ليبيا، وحكم صدام حسين العراق، وورث بشار نجل حافظ الأسد السلطة في سوريا. وظل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو الشاغل الرئيسي للعالم العربي، ولا يزال ياسر عرفات يسيطر على منظمة التحرير الفلسطينية.

ومع ذلك، فإن التوازن الإقليمي لم يعد هو نفسه. حيثُ تحوّل مركز الثقل في العالم العربي بشكل حاسم نحو الخليج، وأصبحت الممالك المحافظة الغنية بالنفط مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر من أبرز الأسماء في السياسة العربية. وبحلول عام 2002، سيضيف فوز حزب العدالة والتنمية الإصلاحي الإسلامي الذي يتزعمه رجب طيب أردوغان في الانتخابات التركية عنصراً آخر إلى هذا المزيج من خلال جعل تركيا لاعباً في السياسة العربية.

هاجم تنظيم القاعدة في 11 أيلول/سبتمبر 2001 الولايات المتحدة، والتي ردّت بدورها من خلال شن "حرب على الإرهاب" ولم تنته بعد. رأى بوتين في الأزمة الفرصة وعرض نفسه على الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب كشرّيك في مكافحة الإرهاب، وسلّط الضوء على

staff spend most of their working hours at other jobs in the private sector." Garay Menicucci, "The Privatization of Russian Middle East Studies," Middle East Report, No. 205, Winter 1997  
Michail Zygar, Männen i Kreml: Inifrån Putins hov, Ordfront, 2018, p. 12–25. Primakov quickly made <sup>38</sup> his peace with Putin after losing the power struggle and was allowed to ride off into the sunset as head of Russia's Chamber of Commerce and Industry, with occasional side missions as a foreign policy fixer

.Nizameddin 1999, p. 270 <sup>39</sup>

.Nizameddin 1999, p. 254 <sup>40</sup>

تاريخ روسيا مع الجهاديين الشيشان. كما سهّلت روسيا بعد فترة وجيزة من الهجمات أيضاً الغزو الأمريكي لأفغانستان التي تحكّمها طالبان، على الرغم من أنها جلبت القوات الأمريكية بالقرب من حدود روسيا وهو أمر غير مريح بالنسبة لروسيا.

ومع ذلك، بدأت المشاكل تتراكم بعد فترة وجيزة. فقد غضب القادة الروس بسبب خطط الدفاع الصاروخي الأمريكية الجديدة (التي تستهدف إيران رسمياً) وتوسّع الناتو في أوروبا الشرقية. لقد غضبت موسكو من انتقاد الولايات المتحدة لسجل الكرملين الديمقراطي وانتهاكاتها في الشيشان، وانزعاجهم من النفوذ الأمريكي الذي يزحف إلى آسيا الوسطى بعد سقوط طالبان.

وضع اندفاع الولايات المتحدة نحو الحرب في العراق في الفترة 2002-2003 تصدّعاً عميقاً في العلاقات الأمريكية الروسية.<sup>41</sup> وعارضت روسيا الحرب، وتوقعت بشكل صحيح أنها ستخسر عميلاً كبيراً في الأسلحة وشريكاً في صناعة النفط، وأن سقوط صدام حسين سوف يضرب عدم الاستقرار الإقليمي. الأهم من ذلك كله أن بوتين رفض قبول أن الولايات المتحدة يمكنها أن تقضي من جانب واحد على الحكومات غير المرغوب فيها. واتخذت موسكو لأول مرة منذ منتصف الثمانينات، موقفاً صارماً ضد واشنطن بشأن مشكلة الشرق الأوسط. كما نسّق الدبلوماسيون الروس مع فرنسا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لحرمان بوش من قرار الأمم المتحدة الذي سعى إليه، وطارَ بريماكوف إلى بغداد في مهمة لصنع السلام.<sup>42</sup>

لكن كل ذلك لم ينجح شيء: لقد غزت الولايات المتحدة و"تحالف الرّاغبين" العراق كما كان مُخطّطاً له في آذار/مارس 2003. وبدلاً من أن يُظهر التصدي للحرب عزم وقوة روسيا، أظهر غزو العراق عدم أهميتها ومهانة بوتين وتسمّم العلاقات الأمريكية الروسية. وأزعج روسيا الحديث الأمريكي حول حملة لإضفاء الطابع الديمقراطي على الشرق الأوسط، مع أصوات من اليمين الأمريكي التي تدعو إلى غزو سوريا وإيران، حيث كان صانعو السياسة ووسائل الإعلام القومية في روسيا يشعرون بالقلق بالفعل من ظاهرة "الثورات الملونة".

يشير مصطلح "الثورات الملونة" في السياسة الروسية إلى سلسلة من الانتفاضات المدنية في جميع أنحاء الكتلة الشرقية السابقة، وعلى الأخص في صربيا (2000) وجورجيا (2003) وأوكرانيا (2004) وقيرغيزستان (2005). استهدفت الاحتجاجات الأوتوقراطية الصديقين لروسيا، وكانت مدعومة من الغرب.

تبنت أعداد متزايدة من الروس منذ أوائل العقد الأول من القرن العشرين، بمن فيهم صنّاع السياسة، فكرة أن الولايات المتحدة تحاول الإطاحة بالحلفاء الروس بكل من الوسائل العسكرية (العراق) (والثورات الملونة)، وما لم تتصرّف روسيا بشكل حاسم، فإن الدومينو المتهاوي قد يصل إلى الكرملين نفسه.

Zygar 2018, pp. 54–60. On Russian objections to US missile defense plans, see Ida Nygaard and Una<sup>41</sup> Hakvåg, "Why Russia opposes a NATO missile defence in Europe – a survey of common explanations," Norwegian Defense Research Institute (FFI), FFI-2013/00111, January 3, 2013, <https://www.ffi.no/no/Rapporter/13-00111.pdf>.

John Tagliabue, "France and Russia Ready to Use Veto Against Iraq War," New York Times, March 6,<sup>42</sup> 2003, <https://www.nytimes.com/2003/03/06/international/europe/france-and-russia-ready-to-use-veto-against-iraq-war.html>; Primakov 2009, pp. 320–321.

ومن المفارقات أن الأحداث التي وقعت في العراق ساهمت أيضاً في تطرّف السياسة الخارجية الروسية: فقد ساعدت في إطلاق الارتفاع المتزايد في أسعار النفط في الفترة 2003-2008 الذي أخرج روسيا من معاناتها الاقتصادية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وأعطت بوتين القوة اللازمة لنمو وتقوية طموحه المتزايد.

### التحدّث مع الجميع، التجارة مع الجميع

لقد غيرت حرب العراق السياسة العربية. فقد مكّن ارتفاع أسعار النفط وتثبيتت حكومة يسيطر عليها الشيعة في بغداد إيران في المنطقة، الأمر الذي أثار بدوره مخاوف عميقة بين الممالك الخليجية التي تفوقها السعودية. وارتبط التنافس السعودي-الإيراني بالصراع السنّي - الشيعي الذي اندلع في جميع أنحاء العراق المحتل، وأدّت هذه الصّراعات الفتاكة إلى موجات طائفية دينية في جميع أنحاء المنطقة.

لم يكن لروسيا اهتمام كبير بالافتتال بين السنّة والشيعة، لكنها كانت أكثر حرصاً على المشاركة في الثروة النفطية. لم يزعج يلتسين نفسه أبداً بزيارة الشرق الأوسط ولم يزره بوتين أيضاً في السنوات الأربع الأولى من رئاسته، لكن هذا الأمر تغيّر. فقد قام الرئيس الروسي بوتين في كانون الأول/ديسمبر 2004، بأول زيارة دولة لتركيا، تبعتها مصر وإسرائيل وفلسطين بسرعة في عام 2005. وقام في الفترة 2006-2008، بجولة في الجزائر والمغرب والسعودية وقطر والأردن وتركيا (مرة أخرى)، والإمارات العربية المتحدة وإيران وليبيا. وكانت هذه الدول تربطها مصالح سياسية واقتصادية مشتركة مع روسيا. ولم تكن سوريا وهي الحليف السوفييتي السابق على جدول الزيارات.

ومع ذلك، تحرّك الرئيس الروسي لإعادة تنشيط العلاقات مع الشركاء التقليديين لموسكو كجزء من استراتيجية أوسع للتخلّص من الإرث الاقتصادي المتشابك للاتحاد السوفييتي.<sup>43</sup> كما قامت روسيا بعد عقد ونصف العقد من المساومة غير المثمرة على عدّة مليارات من الديون المستحقة على الجزائر وسوريا والعراق وليبيا، بشطبها لتمهيد الطريق أمام عقود جديدة، خاصّة صادرات الأسلحة ولكن بشروط تجارية بحثة هذه المرة.

### شطب الديون الروسية إلى دول الشرق الأوسط

سوريا 9,8 مليار دولار 2005<sup>44</sup>

الجزائر 4,7 مليار دولار 2006<sup>45</sup>

العراق 12 مليار دولار 2008<sup>46</sup>

Lyudmila Alexandrova, "Why Russia forgives debts," TASS, May 22, 2014, <sup>43</sup> [tass.com/opinions/763287](http://tass.com/opinions/763287)

<sup>44</sup> روسيا تشطب 73% من ديون سوريا <https://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2005/1/25>

Olivia Marsaud, "La Russie efface la dette algérienne," RFI, March 10, 2006, <sup>45</sup> [www1.rfi.fr/actufr/articles/075/article\\_42379.asp](http://www1.rfi.fr/actufr/articles/075/article_42379.asp)

ليبيا 4,5 مليار دولار 2008<sup>47</sup>

لم تكن السياسة مَهْمَلَةً تماماً. فقد استمرّ الدبلوماسيون الروس في حضور مؤتمرات السلام في الشرق الأوسط، على الرُغم من أن تأثيرهم كان ضئيلاً. وفي عام 2002، بدأت وزارة الخارجية حملة للتواصل مع المسلمين وسَعَت إلى الانضمام إلى منظمة التعاون الإسلامي. وجادل بوتين بأن المسلمين الروس "لهم الحق في الشعور بأنهم جزء من العالم الإسلامي"، في ما يبدو محاولة منه لإصلاح بعض الأضرار التي لحقت بروسيا جرّاء الحرب الشيشانية.<sup>48</sup> وتمّ في النهاية منحها عضوية المراقب في عام 2009.<sup>49</sup>

كما تمّ بذل الجهود لتعزيز سياسة روسيا. حيث بدأت محطة الدعاية الرسمية باللغة العربية "روسيا اليوم" في بث تلفزيوني عبر الأقمار الصناعية في عام 2007. ومع ذلك، ورغم أن موسكو كانت حريصة على بث آرائها، إلا أنها حاولت في الغالب الابتعاد عن النزاعات الإقليمية. كان هذا في جزء منه، نتيجة لضعف روسيا الطويل- وهو درس استخلصته روسيا بعد حرب العراق - لكنه عكس أيضاً عدم الوقوع في حالة انحياز على النمط السوفييتي الحزبي. كانت خطة اللعبة الجديدة لموسكو هي بناء العلاقات بنشاط ولكن بحكمة عبر جميع الانقسامات الأيديولوجية، مع التركيز على المكاسب الاقتصادية وتجذب الاستثمارات التي لم تكن منطقية بشروطها.<sup>50</sup> كما قال بوتين فيما بعد: "بالعودة إلى الحقبة السوفييتية، سوف نتذكر التطورات في مصر، حيث استثمرنا من جانب واحد لأسباب سياسية وأيديولوجية. وبعد ذلك - الانفجار - تعيّر الوضع، وأين انتهت كل استثماراتنا؟ لن يكون من المناسب قول ذلك للجمهور، لكنك تفهم ما أقصده."<sup>51</sup>

أظهرت الأحداث في سوريا ولبنان في 2004-2006 حدود التزام روسيا تجاه الحلفاء القدامى، والأولوية التي غالباً ما تُمنح للشركاء الغربيين أو الإقليميين الأكثر أهمية. اقتربت روسيا من حكومة بشار الأسد في سوريا بعد حرب العراق، وقد أغضبته التهديدات الأمريكية ضد دمشق

<sup>46</sup> سامي عمارة، موسكو تشطب 12 مليار دولار من ديون العراق. الشرق الأوسط، 12 شباط/فبراير 2008 <http://archive.aawsat.com/print.asp?did=458198&issueno=10668>

<sup>47</sup> Oleg Shchedrov, "Russia writes off Libya's cold war debt in exchange for contracts," New York Times, April 17, 2008, <https://www.nytimes.com/2008/04/17/business/worldbusiness/17iht-rusbiz.4.12106999.html>

<sup>48</sup> Steven Lee Myers, "Putin To Attend Islamic Conference," New York Times, October 16, 2003, <https://www.nytimes.com/2003/10/16/world/world-briefing-europe-russia-putin-to-attend-islamic-conference.html>

<sup>49</sup> Observer's role strengthens Moscow's relations with OIC," Arab News, June 12, 2011, [www.arabnews.com/node/380454](http://www.arabnews.com/node/380454)

<sup>50</sup> "I would like to tell you that in the past decade we did not make any major investments in any country for ideological reasons," Putin told the State Duma in 2012. "Everything what happened was on a market basis. We did not present any gifts to anyone." "Prime Minister Vladimir Putin delivers his report on the government's performance in 2011 to the State Duma," Russian Prime Minister's Office, April 11, 2012, [archive.premier.gov.ru/eng/events/news/18671/print](http://archive.premier.gov.ru/eng/events/news/18671/print)

<sup>51</sup> المرجع السابق



وكانت حريصة على صد روايات تغيير النظام.<sup>52</sup> ومع ذلك، عندما انضمت المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة وفرنسا للضغط على الأسد ليسحب جيشه من لبنان، حيث كان هناك منذ عام 1976 قامت موسكو بحثّ الأسد على الامتثال. وحتى بعد أن أدت الاحتجاجات في الشوارع إلى إسقاط الحكومة اللبنانية الموالية لسوريا وإجبار جيش الأسد على الخروج في ربيع عام 2005، قاومت موسكو إغراء التراجع عن سرد الثورات الملونة. وبدلاً من ذلك، بدا أن الدبلوماسيين الروس يقبلون أن السوريين قد أخطأوا وسيتعين عليهم دفع الثمن.<sup>53</sup> وتبيّنت موسكو عندما غزت إسرائيل لبنان بعد ذلك رداً على هجوم لحزب الله في صيف عام 2006، مقاربة دقيقة حيث ألقت باللوم فيها على كلا الجانبين، على الرغم من أنها زادت انتقاداتها لرفض إسرائيل قبول وقف إطلاق النار مع استمرار الحرب.<sup>54</sup>

قدّمت الأزمة النووية الإيرانية نظرة أخرى على كيفية موازنة روسيا بين المصالح المختلفة. حيث تعرّضت إيران لضغوط غربية، مدعومة بتهديدات هجوم إسرائيلي أو حتى هجوم أمريكي، بعد الكشف عن عناصر سرّية من برنامج أبحاثها النووية في 2002-2003. كانت الشكوك حول قيام إيران بصنع قنبلة نووية خطيرة بدرجة كافية، لكنها اكتسبت أهمية إضافية بسبب دور إيران المتزايد في السياسة العراقية واللبنانية والفلسطينية.

قامت موسكو بدور نشط في مجموعة 1+5 التي أنشأها الأعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الأمن وألمانيا في العام 2006. كان دور المجموعة هو تطوير المزيج الصحيح من عقوبات الأمم المتحدة والمفاوضات لجعل إيران تلتزم ببرنامج نووي خاضع للمراقبة وغير عسكري. كان جزءاً من جاذبية تصميم المجموعة هو استيفاء رغبة الكرملين في الاعتراف بروسيا كقوة كبرى، لكن كان لدى روسيا العديد من الأسباب الأخرى للمشاركة بها.

لم تزق فكرة القنبلة الإيرانية لروسيا في حدّ ذاتها، ومن الممكن أن يثير مشاركة روسيا بالمجموعة جهود تقليدية في جميع أنحاء الشرق الأوسط.<sup>55</sup> وبنفس الوقت كانت موسكو تشعر بالقلق بنفس القدر، أو ربما أكثر، من خطر انهيار المفاوضات. وفكرت روسيا أنه في حالة

<sup>52</sup> Vassili 2018, p. 384-389

<sup>53</sup> The protests had been triggered by the February 2005 murder of former Lebanese prime minister Rafiq al-Hariri, a Saudi-French ally and leader of Lebanon's Sunni community. Hariri's death was widely blamed on Assad and his Lebanese allies (in 2011 an international tribunal formed by the UN indicted members of Hezbollah for the murder) and became a rallying point for an otherwise disparate coalition of nations and groups that wanted Syrian forces out of Lebanon. Russia refused to blame Damascus and rejected talk of UN sanctions, but made no meaningful effort to help Assad defeat Saudi, US and French pressure. I am grateful to Hanna Notte for insights on Russia's attitude to the Hariri affair and the Syrian presence in Lebanon

<sup>54</sup> For example, "Security Council debates escalating crisis between Israel, Lebanon; UN officials urge restraint, diplomacy, protection of civilians," Security Council, SC/8776, July 14, 2006, <https://www.un.org/press/en/2006/sc8776.doc.htm>; "Russia's Position on Middle East Conflict," Russian Foreign Ministry, August 3, 2006, [www.mid.ru/en/web/guest/foreign\\_policy/international\\_safety/conflicts/-/asset\\_publisher/xIEMTQ3OvzCA/content/id/395882](http://www.mid.ru/en/web/guest/foreign_policy/international_safety/conflicts/-/asset_publisher/xIEMTQ3OvzCA/content/id/395882)

<sup>55</sup> Crown Prince Mohammed bin Salman said in 2018 that Saudi Arabia would build its own atomic bomb "as soon as possible" if Iran were to acquire a nuclear weapon. "Saudi Arabia pledges to create a nuclear bomb if Iran does," BBC, March 15, 2018, <https://www.bbc.com/news/world-middle-east-43419673>

عدم وجود حل سلمي، فإن الهجمات الأمريكية أو الإسرائيلية قد تثير عدم استقرار هائل في الفناء الخلفي لروسيا. وأخيراً وليس آخراً، أرادت روسيا التأثير على إيران، وهو هدف ذو أولوية عالية يعود إلى أيام الاتحاد السوفيتي وقبله.

وأخيراً، بقيت روسيا على الرغم من بعض التوتر مع الممثلين الأمريكيين والأوروبيين المتشددين، منشغلة مع مجموعة 1+5، في محاولة لإيجاد حلول خلاقية وغالباً ما تظهر كأفضل صديق لإيران في المجموعة.<sup>56</sup>

في عام 2007، وصف محرر روسيا للشؤون العالمية فيودور لوكيانوف سياسة روسيا في الشرق الأوسط "غير المنتظمة إلى حد ما" بأنها جهد ثلاثي الجوانب:

1. أرادت روسيا استعادة أهميتها المستقلة ووضعها كقوة عظمى من خلال المشاركة في عملية السلام بين إسرائيل وفلسطين، والمشاركة البناءة مع الأمم والجماعات "المارقة" المنبوذة من الغرب.
2. أرادت روسيا الحفاظ على الاستقرار الإقليمي من خلال منع أي هجوم أمريكي على إيران، ولكن من خلال البحث عن حلول عملية للحروب في العراق وأفغانستان.
3. أخيراً وليس آخراً، احتاجت روسيا إلى إيلاء اهتمام خاص لمنتجي النفط والغاز مثل المملكة العربية السعودية والجزائر وقطر وإيران، من أجل تعزيز مصالح الطاقة الروسية.<sup>57</sup>

ولكن اتخذ موقف الكرملين خارج منطقة الشرق الأوسط تجاه الغرب، منعطفاً أكبر في المواجهة. حيث شن بوتين في خطاب ألقاه في مؤتمر ميونيخ الأمني لعام 2007 هجوماً صارخاً على التدخل الأمريكي والأحادية، وأوضح بذلك رفض روسيا لنظام ما بعد الحرب الباردة الذي قاده الولايات المتحدة. لقد تطرق الخطاب إلى الشرق الأوسط، حيث أكد بوتين مجدداً على الحاجة إلى الاستقرار: "يؤدي التوتر الاجتماعي المتزايد في المناطق المحيطة حتماً إلى نمو التطرف وتغذية الإرهاب والصراعات المحلية. وإذا حدث كل هذا، كما نقول، في منطقة مثل الشرق الأوسط حيث يوجد شعور متزايد بأن العالم ككل غير عادل، فهناك خطر زعزعة الاستقرار العالمي."<sup>58</sup>

### ميدفيديف: فترة ابتعاد بوتين للصف الثاني

في أيار/مايو 2008، تولى ديمتري ميدفيديف منصب الرئيس كخليفة لبوتين، بينما ابتعد بوتين إلى منصب ميدفيديف القديم كرئيس للوزراء، ومثل هذا التبادل احترام الحدّ الدستوري الذي

In 2009, Moscow immediately accepted the disputed re-election of Iranian President Mahmoud Ahmadinejad. Foreign Minister Sergei Lavrov called the protests an "internal affair of Iran." Natalya Shurmina and Guy Faulconbridge, "Russia, China congratulate Ahmadinejad on vote win," Reuters, June 16, 2009, <https://www.reuters.com/article/us-iran-president-sb/russia-china-congratulate-ahmadinejad-on-vote-win-idUSTRE55FOYA20090616>.

Fyodor Lukyanov, "Russia's Path in the Middle East," Russia in Global Affairs, November 28, 2007, [eng.globalaffairs.ru/redcol/n\\_9861](http://eng.globalaffairs.ru/redcol/n_9861).

Vladimir Putin, "Speech and the Following Discussion at the Munich Conference on Security Policy," [Russian presidency, February 10, 2007, en.kremlin.ru/events/president/transcripts/24034](http://www.kremlin.ru/events/president/transcripts/24034).

يقضي بفترتين رئاسيتين للرئيس. كان الغرب يعتقد أن ميدفيديف، الشخصية الليبرالية الرئيسية في الكرملين، يريد علاقات أوثق مع الغرب والمزيد من التركيز على التنمية الاقتصادية، ولم يكن من الواضح حجم القوة التي يتمتع بها استمر بوتين في ممارسة النفوذ من وراء الكواليس، وكان يُعتقد على نطاق واسع أنه يخطط لاستعادة الرئاسة في عام 2012، وهو ما فعله بالفعل. واستمر من جهة أخرى الاحتكاك مع الولايات المتحدة وأوروبا خلال فترة ولاية ميدفيديف كرئيس.

وفي عام 2008، أثارت حرب قصيرة مع جورجيا إدانة الغرب وأعربت الولايات المتحدة عن غضبها من السلوك الروسي، ودفعت الحرب أيضاً إلى تعزيز عسكري كبير. على الرغم من أن روسيا هزمت جورجيا بسهولة، وهي دولة أصغر منها بكثير، إلا أن أداء قواتها المسلحة كان ضعيفاً. لقد استفاد الكرملين من ثروته النفطية عن طريق البدء في "الإصلاح العسكري الأكبر منذ إنشاء الجيش الأحمر"، حيث وضع ميزانية غير مسبقة بقيمة 19 تريليون روبل (635 مليار دولار) للفترة 2011-2020.<sup>59</sup> كان الهدف هو تحديث الجيش بما يتماشى مع هدف طويل الأجل يتمثل في إنشاء "قوة جاهزة للقتال تتكون من مهنين مُتَعَاقد معهم."<sup>60</sup>

سعت فورة الإنفاق العسكري في روسيا في المقام الأول إلى تعويض عقدين من الإهمال، لكن الإصلاحات عكست كذلك "الافتراضات الإستراتيجية المتسقة على نطاق واسع، وإن كانت متشائمة حول المستقبل" الذي "تمزّقه النزاعات بين الدول الفرعية والأيديولوجيات المتطرفة والهجينة و التهديدات العابرة للوطنية والمنافسة المكثفة على موارد القوى العظمى.<sup>61</sup> ستحتاج روسيا في مثل هذا العالم، إلى قوة ردع قوية وقدرة على الانتشار السريع في المناطق المضطربة خارج حدودها. وفي حين لم يكن هناك عنصر شرق أوسطي محدد في الحشد العسكري، إلا أنه دعا إلى استعادة الأسطول البحري وإلى وجود عسكري روسي في البحر الأبيض المتوسط.<sup>62</sup> وقد أدّى ذلك إلى تجدد الانتباه إلى محطة التزود بالوقود المتهدمة في طرطوس في سوريا، وبحلول عام 2008 كان برنامج الإصلاح والتوسعة قيد التنفيذ.<sup>63</sup> لا يزال الرئيس الأسد يعاني من الأحداث في العراق ولبنان، وكان في حاجة ماسة للحلفاء الرئيسيين، ولم يكن بطبعه شغوفاً بالخنوع. أشاد الرئيس الأسد في زيارة لروسيا في عام 2008، بالعملية الروسية في جورجيا باعتبارها "دفاعاً عن مصالحها المشروعة" ودعا إلى دور روسي أكبر في

<sup>59</sup> Moneghan 2017, p. 69; Susanne Oxenstierna, "Russian Military Expenditure," in Gudrun Persson (ed.), Russian Military Capability in a Ten-Year Perspective—2016, Swedish Defense Research Agency (FOI), FOI-R--4326--SE, December 2016, p. 140.

<sup>60</sup> Moneghan 2017, p. 69.

<sup>61</sup> Moneghan 2017, pp. 22–28, 32. See also Jakob Hedenskog, Gudrun Persson, and Carolina Vendil Pallin, "Russian Security Policy," Gudrun Persson (ed.), Russian Military Capability in a Ten-Year Perspective—2016, Swedish Defense Research Agency (FOI), FOI-R--4326--SE, December 2016, p. 114–116.

<sup>62</sup> Guy Faulconbridge, "Russian navy to start sorties in Mediterranean," Reuters, December 5, 2007, <https://www.reuters.com/article/us-russia-navy/russian-navy-to-start-sorties-in-mediterranean-idUSL0518563620071205>

<sup>63</sup> "البحرية الروسية تعود الى ميناء طرطوس السوري" BBC Arabic, September 13, 2008, [.news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid\\_7613000/7613724.stm](http://www.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_7613000/7613724.stm)

سوريا والشرق الأوسط.<sup>64</sup> و بعد عامين سافر ميديفيدف، مع إبرام عقود أسلحة جديدة، إلى دمشق في أول زيارة يقوم بها رئيس روسي إلى سوريا.

## روسيا والرّبيع العربي

كان من المؤكّد أن موجة الانتفاضات التي اجتاحت العالم العربي في أوائل عام 2011 أنها ستجذب انتباه روسيا، وهي دولة مرتبطة بالشرق الأوسط من خلال "العديد من الخيوط غير المرئية".<sup>65</sup> وفي حين أن العديد من السياسيين الأمريكيين والأوروبيين اصطّفوا بحماس إلى جانب المحتجين، متصوّرين حركة ديمقراطية شابة على غرار الثورات الأوروبية عام 1989، إلا أن قادة روسيا قرأوا الوضع بشكل مختلف تماماً. حيث كانت الانتفاضات العربية تبدو بالنسبة إليهم، أكثر تعقيداً وأكثر شراً: تمزيق فوضوي لنظام اجتماعي - سياسي راكد ومتصدّع، ومن المرجّح أن يثير إزاحته اضطرابات طويلة الأجل، وأن يثير التطرّف أيضاً، وربما الحروب بين الدّول. كما لم يكن الوضع بالنسبة لروسيا مشابهاً لأحداث عام 1989، ولكن ربما شبيهاً بأحداث العام 1848.

امتألت وسائل الإعلام الروسية بنظريات المؤامرة التي صوّرت الانتفاضات على أنها ثورات ملونة تمّ رسمها في الولايات المتحدة. يبدو أن هذا الخطّ من التفكير كان لديه بعض المؤيدين في الكرملين أيضاً، لكن كان لدى كبار المسؤولين الروس عموماً نظرة أكثر واقعية. فقد سلّط وزير الخارجية سيرغي لافروف على سبيل المثال، الضوء على الجّمود الاجتماعي والسياسي في العالم العربي كسبب مباشر للاضطرابات، على الرغم من أنه لاحظ أيضاً أن المصالح الخارجية "فرضت" نفسها بسرعة على التناقضات الداخلية".<sup>66</sup>

وجّه بوتين، الذي كان لا يزال رئيساً للوزراء بصراحة الحكومات الغربية بشأن ما اعتبره تشجيعها السّاذج للتغيير الثوري في منطقة لم تكن مستعدة لذلك. وقال للصحفيين في شباط/فبراير 2011: "دعونا نلقي نظرة على التاريخ إذا كنتم لا تمانعون." "وتابع بوتين: " أين عاش الخميني، وهو العقل المدبّر للثورة الإيرانية؟ عاش في باريس. وكان مدعوماً من معظم المجتمع الغربي. والآن يواجه الغرب البرنامج النووي الإيراني. أتذكّر شركاءنا الذين طالبوا بإجراء انتخابات ديمقراطية نزيهة في الأراضي الفلسطينية. ممتاز! لقد فازت حماس في تلك الانتخابات، بعد ذلك بفترة قصيرة أعلنوا أنها منظمة إرهابية وواجهوها".<sup>67</sup>

<sup>64</sup> الأسد يدعم روسيا بالكامل ويشجب المحاولات الغربية لعزلها، " al-Ittihad, August 21, 2008, <https://bit.ly/2H1aBJ0>

<sup>65</sup> " Visit to Uzbekistan," Russian Presidency, June 14, 2011, [www.en.special.kremlin.ru/events/president/news/11558](http://www.en.special.kremlin.ru/events/president/news/11558)

<sup>66</sup> Vasiliev 2018, p. 430-432  
<sup>67</sup> "Prime Minister Vladimir Putin and President of the European Commission José Manuel Barroso give a news conference following the meeting of the Russian government and the EU Commission," Russian Prime Minister's Office, February 24, 2011, [archive.premier.gov.ru/eng/events/pressconferences/14257](http://archive.premier.gov.ru/eng/events/pressconferences/14257)

قال ميدفيديف في اجتماع لمكافحة الإرهاب في شباط/فبراير 2011 عندما كانت الاضطرابات الإقليمية في مراحلها الأولى: "انظروا إلى الأوضاع الحالية في الشرق الأوسط والعالم العربي، إنها صعبة للغاية وما زالت هناك مشاكل كبيرة تنتظرنا. قد يصل الأمر في بعض الحالات إلى تفكك الدول الكبيرة المكتظة بالسكان، وتقسيمها إلى أجزاء أصغر. شخصية هذه الدول أبعد ما تكون عن الوضوح. وقد يصل الأمر إلى أحداث معقدة للغاية، بما في ذلك وصول المتطرفين إلى السلطة". ثم سردَ ميدفيديف ملاحظة أكثر تأمراً، والتي بدا أنها تشير إلى الشيشان والثورات الملونة: "في الماضي تمّ احتضان مثل هذا السيناريو عندنا، والآن أصبحت محاولات تنفيذه أكثر احتمالاً. في أي حال، لن تمرّ هذه المؤامرة. لكن كل ما يحدث هناك سيكون له تأثير مباشر على وضعنا الداخلي على المدى الطويل، ولعقود طويلة.<sup>68</sup>

شمل افتتاح موسكو إلى الحماس للربيع العربي الانتفاضات المبكرة في كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير 2011 التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك، على الرغم من حقيقة أن الرجلين كانا حليفين للغرب ولمدة طويلة.

"كان من الواضح أن موضوع الإسلاميين يمثل عقبة أساسية أمام روسيا، التي فضّلت الأنظمة غير المتحالفة معها في مصر وتونس على (احتمال) نظام ديمقراطي قد يحمل خطر وصول الإسلاميين إلى السلطة"، كما استنتج المفكر والسياسي الفلسطيني عزمي بشارة الذي عمل خلال الربيع العربي، جنباً إلى جنب مع الحكومة القطرية لدعم المنشقين في سوريا وفي أماكن أخرى.<sup>69</sup> ومع ذلك، فإن الانتفاضات في تونس ومصر لم تؤثر بشكل مباشر على الموقف الاقتصادي أو السياسي لروسيا. وعلى الرغم من خطاب الرئيس المتشائم، لا يبدو أن روسيا الرسمية في حالة من الذعر، ولم يكن هناك شيء على الإطلاق تستطيع موسكو فعله للتأثير على الأحداث في أي من البلدين.

كانت الانتفاضات في ليبيا وسوريا، التي اندلعت في شباط/فبراير وآذار/مارس 2011، مسألة مختلفة. كان لكلتا الدولتين تاريخ في الحرب الباردة مع روسيا، لكن ردّ فعل موسكو لم يكن تضامنياً مع قيادة البلدين بقدر ما كان ردّ فعل قوي على خصومهم. بالنسبة لروسيا، بدت القوات التي تتحدى نظام القذافي والأسد مثل التمرد غير المنضبط، المدعوم من الولايات المتحدة، على غرار الثورات الملونة مع خط إسلامي سني قوي، ومزيج من الكابوس الذي يحتوي كل شيء، وكانت النخبة الأمنية الوطنية الروسية تستعد للخوف والمعارضة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي.

### نقطة التحوّل الليبية

امتنتعت روسيا بناءً على تعليمات من الرئيس ميدفيديف عن التصويت في آذار/مارس 2011 على قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1973، الذي مكّن الدول الأعضاء من "اتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المدنيين" في ليبيا. وخاضت الدول الغربية ودول الخليج العربي الحرب بمجرد إقرار النص، ولعبت فرنسا والمملكة المتحدة وقطر أدواراً مبكرة في ما تطوّر سريعاً إلى عملية

<sup>68</sup> "Dmitry Medvedev held a meeting of the National Anti-Terrorism Committee in Vladikavkaz," "68  
Kremlin website, February 22, 2011, en.kremlin.ru/events/president/news/10408

<sup>69</sup> Azmi Bishara, سوريا درب الالام نحو الحرية. محاولة في التاريخ الراهن, Arab Center for Research and Policy Studies, 2013, p. 480

بقيادة الناتو للإطاحة بالقدافي. لم تشارك روسيا في الأعمال العدائية، لكن امتناعها عن التصويت كان أمراً بالغ الأهمية لتمرير القرار.

يقول ديميتري ترينين من مركز كارنيجي موسكو ملخصاً موقف الكرملين: "لم يكن لدى السيد القدافي العديد من الأصدقاء في أي مكان في العالم، بما في ذلك روسيا، لكن الجميع أحبوا ليبيا لاحتياطياتها النفطية وغيرها من الثروات، لذلك سننضم إلى الغرب وسنكون من بين الفائزين في تلك الحرب وسنحصل على نصيبنا من الغنائم."<sup>70</sup>

وكما ذكر نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف لاحقاً، فإن الحكومة الروسية "كان لديها أكثر من رأي" حول كيفية التعامل مع الأزمة الليبية، وكان فلاديمير بوتين كرئيس للوزراء رأي مخالف.<sup>71</sup> وبالرغم من أن رئيس الوزراء لم يكن له دور رسمي في السياسة الخارجية، إلا أن بوتين أبلغ المراسلين أنه في "رأيه الشخصي"، كان القرار 1973 أقرب إلى "دعوة من القرون الوسطى للحملة الصليبية" التي من شأنها أن تعرّض روسيا للخطر من خلال تشجيع التدخل الأمريكي.<sup>72</sup> ردّ ميديفيد على تصريح بوتين بأنه يتحمّل شخصياً المسؤولية الكاملة عن التصويت وقال كان الحديث عن حملة صليبية "غير مقبول."<sup>73</sup> وتراجع بوتين لكنه استمرّ في التذمّر حول ما زعم أنه "علامة ضعف لا تُغتفر" من جانب ميديفيد.<sup>74</sup> وبعد فترة وجيزة، بدأت روسيا في الاحتجاج على عمليات القصف في ليبيا، وادّعى دبلوماسيوها أن الغرب أساء تفسير القرار 1973 عن قصد، وانضم ميديفيد لاحقاً إلى جوقة النقاد، متذمراً من أنه كان قد تعرّض "للخداع في المائدة المستديرة لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة."<sup>75</sup>

لقد كان الجدال غير صادق وشفاف بما يكفي، وكان الدبلوماسيون الروس مهرة بما يكفي لفهم أهمية عبارة مثل "جميع التدابير الضرورية". ومع ذلك، كان سلوك روسيا مُحيراً. وتساءل جمال العرضاوي مدير مكتب الجزيرة في موسكو: "كيف يمكن تصوّر أن وزارة الخارجية

<sup>70</sup> Interview with Dmitri Trenin, telephone, November 2018. Bogdanov also highlighted Arab League support for the resolution as a reason for Russia's abstention. Vasiliev 2018, p. 435.

<sup>71</sup> Vasiliev 2018, p. 433.

<sup>72</sup> "Prime Minister Vladimir Putin comments on the situation in Libya during a meeting with workers at the Votkinsk plant in Udmurtia," Russian Prime Minister's Office, March 21, 2011, archive.premier.gov.ru/eng/events/news/14542.

<sup>73</sup> "Statement by Dmitry Medvedev on the situation in Libya," Russian Presidency, March 21, 2011, en.kremlin.ru/events/president/news/10701.

<sup>74</sup> Zygar 2018, p. 280. As the conflict worsened, Putin lamented Russia's loss of "multi-billion contracts," warned against killing Gaddafi, and returned to attacking the intervention as such. "Is there a lack of crooked regimes in the world?" he asked in April. "What, are we going to intervene in internal conflicts everywhere?" "Vladimir Putin and Borut Pahor hold a newsconference after Russian-Slovenian talks," Russian Prime Minister's Office, March 22, 2011, archive.premier.gov.ru/eng/events/pressconferences/14568; "Prime Minister Vladimir Putin delivers a report on the government's performance in 2010 in the State Duma," Russian Prime Minister's Office, April 20, 2011, archive.premier.gov.ru/eng/events/news/14898; Gleb Bryanski, "Putin: Libya coalition has no right to kill Gaddafi," Reuters, April 26, 2011, https://www.reuters.com/article/us-russia-putin-libya-idUSTRE73P4L920110426.

<sup>75</sup> "Медведев обвинил НАТО в циничном обмане в Ливии," Rosbalt, November 13, 2018, www.rosbalt.ru/russia/2018/11/13/1746113.html. Translation by Liliia Makashova.

الروسية بكل خبراتها المترامية في التعامل مع الغرب وسياساتها لم تستطع قراءة الموقف بعد حظر الطيران في ليبيا.<sup>76</sup>

وقد فسّر بعض المراقبين الخلاف بين بوتين وميدفيديف على أنها مسرحية سياسية، لكن هذا لا يقدّم الكثير لشرح ما كانت روسيا تحاول تحقيقه من خلال السّماح بالتدخل الغربي في ليبيا. على النقيض من ذلك، ينظر الصحفي الروسي ميخائيل زيغار إلى تصويت ليبيا على أنه خلاف حقيقي ويضعه كنقطة انطلاق لخلاف مع أبعاد شخصية وفئوية وإيديولوجية توجت بإعلان بوتين في أيلول/سبتمبر 2011 أنه يسعى للحصول على فترة ولاية ثالثة.<sup>77</sup>

بحلول ذلك الوقت، كان نظام القذافي ينهار. وتمّ جرّ الزعيم الليبي من مخبئه وقتله من قبل المتمرّدين في تشرين الأول/أكتوبر 2011. وغرقت ليبيا نظراً لعدم استعداد أي حكومة عاملة لتحل محله القذافي، في وضع الدولة الفاشلة الممزّقة بين الميليشيات المحلية المتطرفة، والتطرّف الإسلامي، والصّراعات بالوكالة. إذا كانت روسيا (أو ميدفيديف) قد راهنت على أن السّماح بالتدخل الغربي من شأنه أن يجلب المكافآت، فإن هذا الرّهان قد فشل في النهاية ولم يحصل الروس على شيء من هذه العملية.<sup>78</sup> يقول ترينين: "كان هناك هذا الشعور بالمرارة والخداع والتّهميش."<sup>79</sup>

### التخندق القومي الاستبدادي

كانت الانتخابات البرلمانية الروسية التي جرّت في كانون الأول/ديسمبر 2011 بمثابة بروفة لإعادة انتخاب بوتين كرئيس في الربع التالي. لذلك كان الأمر أكثر إثارة للقلق لرئيس الوزراء عندما نزلت حشوداً كبيرة من المتظاهرين الغاضبين إلى شوارع موسكو على خلفية ادّعاءات بالتزوير. أشارت هذه المظاهرات شبح حركة احتجاج شعبية تتشكل في الوقت المناسب للانتخابات الرئاسية. كان الأمر بالنسبة لبوتين وحلفائه، يبدو وكأن ثورة ملوّنة روسية في طور الإعداد، ربما بدعم من العناصر السّاخطة حول ميدفيديف.<sup>80</sup> وفي أوائل كانون الأول/ديسمبر، انتقد رئيس الوزراء وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون، متهماً إياها بالتحريض على الاحتجاجات.<sup>81</sup>

استعاد بوتين الرئاسة بأمان في آذار/مارس 2012 وانتهت المظاهرات. ومع ذلك، فإن التهديدات الحقيقية والمتصوّرة في عامي 2011 و 2012 قد سرّعت من التحول الاستبدادي والقومي الجاري بالفعل في روسيا. وتمّ منذ ذلك الحين اعتماد تدابير تشريعية وبيروقراطية جديدة للسيطرة على السياسة ودعم الأمن الداخلي "بمعدّل مذهل"، في حين أن الخطاب الرّسمي

<sup>76</sup> Jamal al-Erdawi, "الأساطير المؤسسة للفتو الروسي على الربع العربي", Aljazeera Studies Center, October 26, 2011, [studies.aljazeera.net/ar/issues/2011/10/2011102693953182329.html](http://studies.aljazeera.net/ar/issues/2011/10/2011102693953182329.html).

<sup>77</sup> Zygar 2018, pp. 270–274, 280–283.

<sup>78</sup> On the contrary, officials overseeing Russian arms exports spoke of "tens of billions" in potential future losses. Alexei Anishchuk, "

Gaddafi fall cost Russia tens of blns in arms deals," Reuters, November 2, 2011, <https://www.reuters.com/article/russia-libya-arms/gaddafi-fall-cost-russia-tens-of-blns-in-arms-deals-idUSL5E7M221H20111102>.

<sup>79</sup> Interview, Trenin.

<sup>80</sup> Zygar 2018, p. 284 ff.

<sup>81</sup> David M. Herszenhorn and Ellen Barry, "Putin Contends Clinton Incited Unrest Over Vote," *New York Times*, December 8, 2011, <https://www.nytimes.com/2011/12/09/world/europe/putin-accuses-clinton-of-instigating-russian-protests.html>.

والدعاية المحلية عززت موضوعات قومية معادية للغرب.<sup>82</sup> وأصبحت الروايات عن روسيا كجزيرة محاصرة وهي تدافع عن نفسها من الحس السليم والقيم المحافظة، ومبدأ السيادة الوطنية ضد الدوافع العدمية والهيمنة الغربية، محوراً لكيفية وصف الكرملين للشؤون الدولية.<sup>83</sup> فيما يتعلق بالسياسة الخارجية وفقاً لهانا نوتي المتخصصة في السياسة الخارجية الروسية فإن "اللحظة الفاصلة هي في الحقيقة الربيع العربي". تراجع سعي موسكو بعد آذار/مارس 2011، لتحقيق مكاسب اقتصادية إلى أسفل سلم الأولويات في الشرق الأوسط وارتفعت الأهداف المتعلقة بالأمن القومي إلى القمة. وقد حوّل هذا سياسة روسيا في الشرق الأوسط إلى "سياسة راسخة مؤيدة للوضع الراهن، وضد سياسة الثورات الملونة".<sup>84</sup>

## سوريا كمشكلة وفرصة

اندلعت الاحتجاجات في سوريا في آذار/مارس 2011، وذلك قبل التدخل الليبي مباشرة. وكان الكرملين بحلول الوقت الذي دعا فيه الرئيس الأمريكي باراك أوباما وحلفاؤه الأسد إلى التنحي في آب/أغسطس 2011، قد قرّر بالفعل "عدم السماح لسوريا بأن تصبح ليبيا أخرى".<sup>85</sup>

تبلورت في الأسابيع الأولى من المظاهرات السورية، كتلة من المعارضة السورية تؤيد سياسة الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة والسعودية وتركيا وقطر، بالإضافة إلى العديد من الحكومات العربية الغربية أو السنية الأخرى. لم يكن انضمام روسيا إلى إيران إلى جانب الأسد أمراً صعباً، بالنظر إلى أن الدبلوماسيين الروس قد أمضوا عقدين من الزمن في محاولة لجذب بعض الدول في الكتلة الموالية للمعارضة، لكن بوتين لا يبدو أبداً أنه قد تراجع أو ارتدّ "بعيداً عن الابتعاد عن الأزمة السورية، وسعت روسيا إلى لعب دور قيادي، كما يستنتج كريستوفر فيليبس في كتابه "المعركة من أجل سوريا"، وهو كتاب عن البعد الدولي للحرب الأهلية في سوريا.<sup>86</sup>

يبدو أن الموقف القوي للكرملين المؤيد للأسد كان مدفوعاً بمجموعة من العوامل، أهمها الرفض الصريح لأي تغيير للنظام تدعمه الولايات المتحدة. كما كانت هناك حاجة ملحوظة، بعد ليبيا، لإثبات موثوقية روسيا كحليف، ورغبة في حماية المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الباقية، مثل مبيعات الأسلحة وقاعدة طرطوس البحرية. تمت إضافة عدم ثقة قوية بالمعارضة السورية والعداء تجاه عناصرها المسلحة، والتي كان بعضها يرتبط بمتطرفين في روسيا، وكذلك الخوف

<sup>82</sup> Hedenskog, Persson, and Vendil Pallin 2016, p. 101 ff.

<sup>83</sup> "The very notion of state sovereignty is being washed out," Putin complained at a meeting of Russia's Security Council in 2014.

Undesirable regimes, countries that conduct an independent policy or that simply stand in the way of somebody's interests get destabilised. Tools used for this purpose are the so-called colour revolutions, or, in simple terms—takeovers instigated and financed from the outside." "Security Council meeting," Russian Presidency, July 22, 2014, en.kremlin.ru/events/president/news/46305. See also

Hedenskog, Persson, and Vendil Pallin 2016, pp. 114–116.

<sup>84</sup> Interview, Notte.

<sup>85</sup> Interview, Trenin.

<sup>86</sup> Christopher Phillips, *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East*, Yale University Press, 2016, p. 92.



من أن النتيجة المُحتملة لسقوط الأسد ستكون إما حكم إسلامي مباشر أو فضاء غير خاضع للحكم من شأنه أن يسمح للمتطرفين بالتنظيم.<sup>87</sup>

بدأت روسيا لمنع أي من هذه النتائج، مستعدة لدعم أي نوع من سلوكيات الحكومة السورية تقريباً، التي قصفت أهدافاً مدنية و"اخفت" الآلاف من المواطنين.<sup>88</sup> رسمياً، أصرت روسيا على أن التزامها كان بالقانون الدولي والدولة السورية، وليس التزاماً بالأسد شخصياً. تمّ عقد العديد من الاجتماعات والمحاولات الأمريكية الروسية لرسم وتصميم عملية سلام على هذا الأساس، لكن المسؤولين الأمريكيين خلصوا في وقت لاحق إلى أن رغبة موسكو في الحديث عن الانتقال السياسي كانت مجرد وسيلة لتقييدها.

يتذكر فيليب جوردون، الذي نسق سياسة أوباما في الشرق الأوسط في الفترة من 2013 إلى 2015: "كان هدفهم الرئيسي هو منع تغيير النظام وإبقاء الأسد في السلطة، وقد شجعونا بالمناقشات حول الحكم والأشياء الأخرى". ماذا عن هذا، أو ماذا عن هذه القائمة من القادة المحتملين؟ وكانوا يقولون، نعم أياً كان. يبدو أنهم يريدون إلحاق الهزيمة بنا، إنهم يريدون الحفاظ على دور روسي ثقيل، يريدون منع تغيير النظام، يريدون محاربة الجهاديين. إن وصفة بوتين لمكافحة الإرهاب معروفة جيداً – قصفه.<sup>89</sup>

وافقت روسيا والولايات المتحدة بعد هجوم كيميائي كبير على المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في أب/أغسطس 2013 بشكل مشترك، على القضاء على مخزون الأسد من الأسلحة الكيميائية من خلال الأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية (OPCW)، كبديل للغارات الجوية الأمريكية. نجحت الصفقة في نهاية المطاف في تدمير 1300 طن من المواد الكيميائية، وبدا لفترة وجيزة أن هناك فرصة لوضع العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا على قدم المساواة. استمرت التقارير عن الغش والاستخدام المتقطع للأسلحة الكيميائية، ومع ذلك، منعت روسيا كل محاولة من الولايات المتحدة لمحاسبة الأسد.<sup>90</sup> وفي النهاية، خلقت هذه الحلقة سوء نية أكثر من التعاون المستمر.

تدهورت العلاقات الروسية الغربية بشكل كبير حتى قبل أن تسير صفقة الأسلحة الكيميائية في مسارها، لأسباب لا علاقة لها بالشرق الأوسط. ففي ربيع عام 2014، غزت روسيا شبه جزيرة القرم الأوكرانية وضمتها قسراً، ممّا أوصل العلاقات الروسية الغربية بينهما إلى أدنى نقطة منذ الحرب الباردة. لقد استجابت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي للعقوبات الاقتصادية، لكن بوتين ضاعف من شأن ما وصفه إنمار أولديبيرغ بأنها سياسة خارجية "منقّحة أساساً"، وتسعى

<sup>87</sup> There are reports that the Russian authorities tolerated the flow of Russian jihadis to Syria in the early stages of the war, hoping to rid themselves of remaining Caucasus insurgents in this way and, perhaps, to avoid trouble at the February 2014 Sochi Olympics. However, by the latter half of 2014 – after the rise of IS – the authorities clamped down hard on what remained of the insurgency.

International Crisis Group 2016, pp. 16–18.

<sup>88</sup> "Syria: 'Between prison and the grave': Enforced disappearances in Syria," *Amnesty International*, MDE 24/2579/2015, November 5, 2015, <https://www.amnesty.org/en/documents/mde24/2579/2015/en>; "Syrian and Russian forces targeting hospitals as a strategy of war," *Amnesty International*, March 3, 2016, <https://www.amnesty.org/en/latest/news/2016/03/syrian-and-russian-forces-targeting-hospitals-as-a-strategy-of-war>

<sup>89</sup> Interview with Philip Gordon, former special assistant to the president and White House coordinator for the Middle East, North

Africa, and the Persian Gulf (2013–2015), Washington, DC, October 2018.

<sup>90</sup> Aron Lund, "Russia has finished off the UN's Syria chemical attack probe. What now?," IRIN News, November 20, 2017, [www.irinnews.org/analysis/2017/11/20/russia-has-finished-un-s-syria-chemical-attack-probe-what-now](http://www.irinnews.org/analysis/2017/11/20/russia-has-finished-un-s-syria-chemical-attack-probe-what-now).

إلى قلب عناصر الوضع الراهن لما بعد عام 1991 وإعادة تأكيد دور عالمي لروسيا.<sup>91</sup> وتمّ على نحو متزايد، تأطير سوريا أيضاً ضمن المصالح القومية الروسية. وفي عام 2015، أعلن متحدث باسم وزارة الخارجية أن نموذج الدولة الليبية في سوريا سيكون "تهديداً مباشراً لأمننا القومي".<sup>92</sup>

### رد فعل دول الشرق الأوسط على ضم روسيا للقرم

سجل التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 262/68

المصوتون لصالح أوكرانيا: البحرين، الأردن، الكويت، ليبيا، قطر، العربية السعودية، تونس، تركيا.

الغائبون عن الجلسة: الجزائر، مصر، إيران، إسرائيل، لبنان، موريتانيا، المغرب، عُملت، الإمارات العربية المتحدة، اليمن.

المصوتون لصالح روسيا: سوريا والسودان.

صدر القرار في 15 آذار/مارس 2014 ب 100 صوت مع، و 58 غائب عن الجلسة و 11 صوت ضد القرار.

المصدر: الأمم المتحدة، السجل الخاص بالتصويت على القرار المذكور.

### **التدخل الروسي**

أطلقت روسيا تدخلاً جويًا في سوريا في 30 أيلول/سبتمبر 2015. وأشار دبلوماسيون روس إلى تهديد الدولة الإسلامية (داعش)، وهي مجموعة جهادية استولت على مناطق واسعة من سوريا والعراق في صيف عام 2014، والتي كانت بالفعل تتعرض لهجوم عسكري بقيادة الولايات المتحدة. قصفت الطائرات الروسية في الممارسة العملية، أي شخص صمدّ وهو يقف في طريق الأسد، وكانت ردود الفعل الإقليمية مختلطة بشكل متوقع.

وحذر غسان شربل رئيس تحرير جريدة الحياة التي تملكها السعودية من أن "النصر لا يُعلن في بداية الحرب"، مضيفاً "من الصّعب أن نتخيل" أن بوتين "يخطط لسحق كامل المعارضة السورية حتى على حساب تدمير علاقات بلاده بالعالم السّني".<sup>93</sup> وكان إبراهيم الأمين من صحيفة الأخبار، وهي صحيفة لبنانية متعاطفة مع حزب الله وإيران، أكثر حماساً: "بالأمس، فتحت روسيا صفحة جديدة في تاريخ العالم". لكن أمين حذر أيضاً من أن الحرب لم تنته بعد،

<sup>91</sup> Ingmar Oldberg, "Is Russia a status quo power?" Swedish Institute of International Affairs, *UI Paper* No. 1, 2016, <https://www.ui.se/globalassets/butiken/ui-paper/2016/is-russia-a-status-quo-power---io.pdf>, p. 15.

<sup>92</sup> "МИД РФ: разрушение государственности Сирии станет угрозой национальной безопасности России," TASS, September 18, 2015, <https://tass.ru/mezhdunarodnaya-panorama/2275002>. Translation by Liliia Makashova.

<sup>93</sup> غسان شربل، الشيطان الأكبر الروسي، صحيفة الحياة 5 تشرين الثاني/أكتوبر 2015. <https://bit.ly/2TtEDea>.

وعلى حلفاء الأسد وإيران ألا يسيئوا فهم دوافع روسيا: كانت موسكو تتصرف "كطرف داعم، وليست عضواً في محور المقاومة"<sup>94</sup> و حذر الصحفي والسياسي المؤثر فهمي هويدي في صحيفة الشروق المصرية، من أن بوتين يدخل "مستنقع الدم"، لكنه لاحظ حقيقة أن التدخل قد غير قواعد اللعبة: لم يعد بالإمكان إسقاط الأسد عسكرياً، وسيكون لروسيا رأي في أي صفقة سياسية في المستقبل.<sup>95</sup>

نظر الكثير من المعلقين العرب أيضاً إلى التدخل فيما يتعلق باستعادة موسكو دوراً إقليمياً مفقوداً منذ فترة طويلة. وقال الناقد المصري المخضرم محمد حسنين هيكل ضمن هذا الإطار إن بوتين قد استغل الضعف الأمريكي والانشغال الأوروبي، للتخطيط عبر سوريا "لاستعادة مجد الدولة السوفيتية".<sup>96</sup>

لقد أرسل التدخل بالتأكيد إشارة حول القدرات العسكرية المعززة لروسيا التي تتميز ب"السرعة الملحوظة والتخطيط المتطور"، ويبدو أن التدخل في سوريا يشهد على فعالية الإصلاحات العسكرية 2011-2020.<sup>97</sup> حيث يلاحظ ترينين "لم تكن موسكو لتتدخل في الشرق الأوسط لو لم يكن لديها الأدوات"، ومن الصعب الهروب من استنتاج مفاده أن سوريا يجب أن تبدو وكأنها مسمار مناسب للغاية لمطرقة الكرملين الجديدة.<sup>98</sup>

في حين أن أهداف التدخل المباشرة كانت واضحة بما فيه الكفاية - انقاذ الأسد وقتل الإسلاميين - فقد بدا أن له أيضاً مكوناً سياسياً دولياً. كانت العلاقات الروسية - الغربية في حالة تجمّد عميق بسبب ضم شبه جزيرة القرم، وكانت القضية الوحيدة التي تمتعت بها روسيا بالوضع الذي سعت إليه، وهي المحادثات النووية لمجموعة 1+5 مع إيران، قد اختتمت في وقت سابق من العام. كانت روسيا تأمل من خلال التدخل في سوريا، في إثبات نشاطها كقوة عظمى، وأنها تعادل الولايات المتحدة سياسياً و"توسيع المواجهة مع الغرب بشروط أكثر مؤاتة لنفسها".<sup>99</sup> كان الهدف في نهاية المطاف هو فرض "صدقة فائرة" على واشنطن دون الاضطرار إلى التخلي عن المكاسب في أوكرانيا أو سوريا.<sup>100</sup>

وجدت الإدارة الأمريكية خلال أواخر عام 2015 و عام 2016 نفسها متأثرة بمقترحات روسية متكررة حول كيفية دمج التدخلات الجوية في تحالف واحد ضد الجهاديين، ورفضت واشنطن هذا المقترح. لم يكن لواشنطن مصلحة في إضفاء الشرعية على مشروع بوتين السوري ونظرت إلى قصف روسيا للمتمردين الذين تدعمهم الولايات المتحدة بأنه عمل عدائي، وليس منصة للتعاون. إذا كان بوتين يعتقد أنه يمكن أن يستخدم سوريا لإعادة ضبط العلاقة المكسورة

<sup>94</sup> إبراهيم الأمين ، نحو شرق أوسط جديد. صحيفة الأخبار 1 تشرين الأول / أكتوبر 2015. <https://bit.ly/2VCI2VF>.

<sup>95</sup> فهمي هويدي، روسيا في مستنقع الدم. صحيفة الشروق 3 تشرين الأول 2015. <https://bit.ly/1PtAfb>.

<sup>96</sup> هيكل بوتين يريد استعادة أمجاد الدولة السوفيتية بتدخله في روسيا. المصري اليوم 9 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

<https://www.almasryalyoum.com/news/details/824186>.

<sup>97</sup> Roger McDermott, "Russia's Strategic Mobility and its Military Deployment in Syria," FOI Memo 5453, RUFBS Briefing No. 31, 97

Swedish Defence Research Institute, November 2015,

[https://www.foi.se/download/18.2bc30cfb157f5e989c31823/1477482863831/RUFBS Briefing No. 31 .pdf](https://www.foi.se/download/18.2bc30cfb157f5e989c31823/1477482863831/RUFBS%20Briefing%20No.%2031.pdf), p. 1.

<sup>98</sup> مقابلة في طهران

<sup>99</sup> Kofman and Rojansky 2018, p. 4-5.

<sup>100</sup> Hanna Notte, "Russia in Syria: Domestic Drivers and Regional Implications," Konrad Adenauer Stiftung, Policy Paper No. 8,

January 2017, [www.kas.de/wf/en/33.47817](http://www.kas.de/wf/en/33.47817), p. 24.

مع الولايات المتحدة، فقد كان ذلك بمثابة قراءة خاطئة ومحيرة لمنظور واشنطن - مما زاد من المفارقة فشل الولايات المتحدة في فهم طموحات الكرملين في سوريا.

وفي حين أن روسيا لم تحصل على الاعتراف والتعاون الذي سعت إليه، إلا أنها قلبت نتائج الحرب. قوبلت التكتيكات العسكرية الروسية بانتقادات شديدة من الحكومات الغربية ومن منظمات حقوق الإنسان. حيثُ حذرت منظمة العفو الدولية من "الانتهاكات الفظيعة" لحقوق الإنسان.<sup>101</sup> ولكن تجاهلت موسكو تلك الانتقادات، لكن أساليبها، رغم وحشيتها، أثبتت فعاليتها. في أواخر عام 2016، فازت قوات الأسد بانتصار رمزي للغاية في مدينة حلب.<sup>102</sup> وصرّح بوتين في اجتماع مسؤولي وزارة الدفاع أنه "تمّ منع تفكك الدولة السورية وقطع سلسلة الثورات الملونة التي تضاعفت في الشرق الأوسط وإفريقيا."<sup>103</sup>

بدأ الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ج. ترامب، بعد ذلك بوقت قصير في تقليص التورط الأمريكي في سوريا. ويبدو أن روسيا، وعلى الرغم من أن الصراع لا يزال يتطلب اهتمام موسكو، قد حصلت على نصر استراتيجي لنفسها وللأسد. كانت التكاليف المادية محدودة ولا تزال حتى الآن مُحتملة، حتى لو أخذنا في الاعتبار المشكلات المالية لروسيا.<sup>104</sup> ودافعت روسيا بذلك، عن موطئ قدم لها في شرق البحر المتوسط ووسّعت نطاقه من خلال تأمين سيطرة طويلة الأجل على منشأة طرطوس البحرية وإضافة قاعدة جوية قريبة في منطقة "حميميم" على الساحل السوري.<sup>105</sup>

### تقليب خيارات العلاقة مع تركيا

لم يكن النجاح الروسي في سوريا مجرد محاولة عسكرية، ولم تكن الآثار السياسية للتدخل أقل أهمية، حيث أجبرت روسيا الداعمين الخارجيين للقوات المناهضة للأسد إما على الاستسلام أو الخروج عن الطريق. ودعا العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني وعلى الفور، وهو من المؤيدين المتعصبين للمتمردين، والذي رأى في الحرب السورية فوضى يائسة، إلى التعامل مع الوجود الروسي بشكل بناء، وقال عنه أنه "فرصة لتحريكه في الاتجاه الصحيح."<sup>106</sup>

جاء التغيير الأكثر تبعية من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والذي كان في البداية معارضاً قوياً للوجود الروسي، وأسقطت دفاعاته الجوية طائرة روسية من طراز Su-24 يُزعم أنها عبرت المجال الجوي التركي في تشرين الثاني/نوفمبر 2015، ممّا أثار مخاوف من حدوث اشتباك بين روسيا وحلف شمال الأطلسي. كثفت موسكو بدلاً من الرد بشكل مباشر على

<sup>101</sup> "Syrian and Russian forces targeting hospitals as a strategy of war," *Amnesty International*, March 3, 2016,

<https://www.amnesty.org/en/latest/news/2016/03/syrian-and-russian-forces-targeting-hospitals-as-a-strategy-of-war/>; "Syria: Putin takes hypocrisy to a new level with remarks on Raqqa civilian deaths," *Amnesty International*, July 17, 2018,

<https://www.amnesty.org/en/latest/news/2018/07/syria-putin-takes-hypocrisy-to-a-new-level-with-remarks-on-raqqa-civilian-deaths>.

Aron Lund, "A Turning Point in Aleppo," *Carnegie Middle East Center*, December 1, 2016, [carnege-mec.org/diwan/66314](http://carnege-mec.org/diwan/66314). <sup>102</sup>

"Expanded meeting of the Defence Ministry Board," *Russian Presidency*, December 22, 2016, <sup>103</sup>

[en.kremlin.ru/events/president/news/53571](http://en.kremlin.ru/events/president/news/53571).

<sup>104</sup> Interview with Fredrik Westerlund and Jakob Hedenskog, deputy research directors with the Swedish Defence Research Agency

(FOI) project on Russian Foreign, Defence and Security Policy (RUFSS), Stockholm, October 2018. See also Kristian Åtland, Tor Bukkvoll, Johannes Due Enstad, and Truls Tønnessen, "Ruslands militære intervensjon i Syria – bakgrunn, gjennomføring og konsekvenser," *Forsvarets forskningsinstitutt (FFI)*, FFI 16/00500, March 15, 2016, <https://www.ffi.no/no/Rapporter/16-00500.pdf>, p. <sup>105</sup>

Lund, *Syria's Civil War*, 2018, p. 27.

<sup>106</sup> "Interview with His Majesty King Abdullah II," Website of King Abdullah II, November 11, 2015, <https://kingabdullah.jo/en/interviews/interview-his-majesty-king-abdullah-ii-4>.

الحادث من قصفها للمتمردين السوريين الذين تدعمهم تركيا. وتمّ فرض عقوبات اقتصادية أدت إلى انخفاض التجارة الروسية التركية إلى النصف تقريباً بين عامي 2014 و 2016، ممّا يمثل ضربة خطيرة للاقتصاد التركي المتداعي بالأصل.<sup>107</sup> لعبت روسيا أيضاً كما في التسعينيات، بالورقة الكردية، حيث قامت على ما يبدو بتسليم عدّة أنواع من الصواريخ المضادة للطائرات إلى متمردى حزب العمال الكردستاني للاستخدام ضد الطائرات العسكرية في تركيا.<sup>108</sup>

كان لدى تركيا بحلول أوائل صيف عام 2016 ما يكفي من المشاكل، ولم يعد أردوغان يرى طريق النصر في سوريا وواجه مشكلة أكبر: لقد ألقت الولايات المتحدة دعمها وراء الجماعات الكردية الموالية لحزب العمال الكردستاني في الحرب على داعش. قدّمت روسيا أيضاً وفقاً للشائعات المستمرة، المساعدة في الوقت المناسب لتفادي حدوث انقلاب ضد أردوغان في تموز/يوليو 2016. ثم بعد ذلك تحوّل العداء التركي - الروسي إلى تعاون حذر حيث سهّلت روسيا سلسلة من التدخلات العسكرية التركية، وقامت تركيا بإعادة توجيه عملائها المتمردين نحو المتعاطفين مع حزب العمال الكردستاني السوري.<sup>109</sup> كانت روسيا وتركيا وإيران بحلول عام 2017، يُجرون محادثات منتظمة في العاصمة الكازاخستانية أستانا، في محاولة لتوجيه نهاية اللعبة. يبدو أن الافتراض غير المُعلن هو أن الأسد قد فاز، لكن ربما لا تزال تركيا متمسكة ببعض المناطق الحدودية في غياب قرار سياسي مُرضٍ.<sup>110</sup>

جادل بوتين بأن تدخّل عام 2015 قد منع أسوأ نتيجة ممكنة، ليس فقط بالنسبة لروسيا ولكن بالنسبة للمنطقة والعالم: "صوملة" كاملة لتلك المنطقة، وتدهور كامل للدولة وتسلسل جزء كبير من المقاتلين إلى أراضي الاتحاد الروسي وإلى أراضي الدول المجاورة التي ليس لدينا فيها حواجز جمركية، أو حدود في الواقع، (تأشيرة نظام حر أي تركيا). كان ذلك سيشكل خطراً حقيقياً علينا. لكننا استبعدنا إلى حد كبير هذا الخطر من خلال أفعالنا، لأننا ألقينا الكثير من الضرر بالإرهابيين في سوريا وحافظنا على الدولة السورية وبهذا المعنى ساعدنا على استقرار المنطقة.<sup>111</sup>

## بعد سوريا:

### تقييم دور روسيا الجديد

ما زال الشرق الأوسط بعد ثماني سنوات من الربيع العربي، يبحث عن توازن جديد. لقد انهارت ليبيا واليمن وقد يظلان دولتين فاشلتين إلى أجل غير مُسمّى. كما انفصلت سوريا إلى أراضٍ متنافسة: الأسد يسيطر على معظم الأراضي لكنه غير قادر حتى الآن على استعادة

Selin Girit, "Turkey faces big losses as Russia sanctions bite," BBC, January 2, 2016, <https://www.bbc.com/news/world-europe-35209987>.

Interview with anonymous source, 2018; Erin Cunningham, "Kurdish militants reportedly shoot down Turkish security forces helicopter," *Washington Post*, May 14, 2016, <https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2016/05/14/kurdish-militants-just-challenged-turkish-air-power-in-a-major-way>.

"After Erdogan went to St Petersburg [in August 2016] and sat face to face with Putin, he rebuilt the Syria strategy from scratch." Aydin Selcen, Turkish political journalist and former diplomat, author interview, Istanbul, December 2018.

Aron Lund, Syria's Civil War: Government Victory or Frozen Conflict?, Swedish Defence Research Agency (FOI), FOI-R--4640--SE, 2018, <https://www.foi.se/rapportsammanfattning?reportNo=FOI-R--4640--SE>, p. 29-30, 52-58, 64-65.

"Meeting of the Valdai International Discussion Club," Russian Presidency, October 18, 2018, [en.kremlin.ru/events/president/news/58848](http://en.kremlin.ru/events/president/news/58848).

البقية. ولبنان في خلل داخلي ولكن، مثل الأردن، تجنّب على الأقل انهياراً كبيراً. ولا زال العراق هشاً بعد هزيمة داعش، وتكافح تركيا مع اقتصاد متعثر وسياسة داخلية متوترة في ظل حكم أردوغان الاستبدادي المتزايد. أمّا في منطقة الخليج، كان التنافس القديم بين قطر من ناحية، والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة من ناحية أخرى، أكثر ضراوة من أي وقت مضى منذ عام 2017. وفي الوقت نفسه، نمت قوة إيران في جميع أنحاء المنطقة، على الرغم من أن الاقتصاد الإيراني في حالة فظيعة بسبب العقوبات الأمريكية. أما الموقف العسكري والسياسي لإسرائيل، فقد تحسّن، ولكن البلاد تكافح من أجل دحر النفوذ الإيراني في سوريا وتنزلق داخلياً نحو السياسة العرقية اليمينية المتطرّفة في غياب حل للقضية الفلسطينية. وفي شمال إفريقيا، يظل حكم الرئيس عبد الفتاح السيسي ذو القبضة الحديدية في خطر بسبب الأداء الاقتصادي الضعيف لمصر. كما أنه لم يطرأ تغيير كبير على العمالة المغاربية الجزائرية والمغرب، لكن محاولات اجتياز فترة ولاية خامسة للرئيس الجزائري المُسنّ والمرض، عبد العزيز بوتفليقة، جذبت المتظاهرين إلى الشوارع في أوائل عام 2019. وفي السودان أيضاً، تسببت الأزمة الاقتصادية التي أعقبت انفصال جنوب السودان الغني بالنفط في عام 2011 وأثار احتجاجات كبيرة. ولا تزال الديمقراطية الهشة في تونس تنتشر ولكن البلاد تكافح من أجل البقاء واقفة على قدميها اقتصادياً.

باختصار، ليست المنطقة في حالة صحية، ويبدو أن قادة روسيا يشعرون بالرّضى التام عن معارضتهم المبكرة للربيع العربي.<sup>112</sup> ومع ذلك، استفادت روسيا من بعض النواحي من فوضى فترة ما بعد 2011.

رسّخت موسكو نفسها من خلال سوريا، كلاعب إقليميّ نشيط يتمتّع "بقدرّة متزامنة على التحدّث إلى كل حكومة إقليمية مع امتلاكه أيضاً قوة قسرية ظاهرة للعيان".<sup>113</sup> وانتشر هذا التأثير منذ ذلك الحين خارج سوريا، لكن افتقار روسيا إلى القوة الاقتصادية يجعل الأمر صعباً لناحية الحفاظ على علاقات وطموحات جديدة على المدى الطويل.

يقول يوري بارمين من مجلس الشؤون الدولية الروسية "الصورة الأكبر توضّح أنه من الناحية السياسية، نعم، هناك الكثير من التقدّم، لكنه ليس بالضرورة مرتبطاً بأشياء حقيقية يمكنك قياسها اقتصادياً"، وتابع "بارمين": "لكن ربما يستفيد فلاديمير بوتين من نفوذه في الشرق الأوسط من الناحية المالية، ليس الهدف هو الوجود نفسه، بل ربما رؤية وجود ضخم هو الهدف النهائي".<sup>114</sup>

## دول الخليج العربي

<sup>112</sup> "Unsuccessful attempts to spread Western models of democracy to a social environment that is not suited for this have resulted in the demise of entire states and have turned huge territories into zones of hostility," Medvedev complained in 2016. Transcript of Dmitry Medvedev's speech at the 2016 Munich Security Conference, Russian Government, February 13, 2016, [government.ru/en/news/21784](http://government.ru/en/news/21784).

<sup>113</sup> Stephen Blank, "The Foundations of Russian Policy in the Middle East," Jamestown Institute, October 2017, <https://jamestown.org/wp-content/uploads/2017/10/WS1-Blank-FINAL.pdf>.

<sup>114</sup> Interview with Yury Barmin, telephone, March 2019.

ثبت أن المخاوف من أن علاقات روسيا مع الأنظمة الملكية السنية في الخليج ستتهار بسبب دعمها لمعسكر "الشيعة" في دمشق وطهران وحزب الله أنها لا أساس لها. على العكس من ذلك، فقد تكثفت العلاقات المشتركة. وعلى الرغم من عدم رضاهم عن العديد من خيارات السياسة الروسية، توصل قادة دول الخليج العربية إلى أن موسكو قوة حازمة وذات صلة ويجب التعامل معها بشكل بناء. إنهم يثمنون "دعم روسيا للاستقرار السياسي والمشاركة الاقتصادية وبدون أي شروط لحقوق الإنسان"، وباستثناء قطر، يشاركون موسكو في ازدياد الربيع العربي.<sup>115</sup>

عقد بوتين عدة اجتماعات مع ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان منذ عام 2015. وفي خطوة رمزية لقرار الرياض التعامل مع روسيا على الرغم من الخلافات حول سوريا وإيران، أصبح الملك سلمان أول ملك سعودي يزور موسكو في أواخر عام 2017. وأشار سلمان الدوسري رئيس تحرير صحيفة الشرق الأوسط اليومية التابعة للعائلة المالكة تعليقاً على الزيارة إلى أن "عودة الدب الروسي" إلى الشرق الأوسط قد أثار خلافات حادة حول قضايا مثل سوريا، لكن أصر الطرفان على أن الدولتين "تفضلان التركيز على المصالح المشتركة الموجودة بالقضايا الواعدة بدلاً من التركيز على الخلافات".<sup>116</sup>

بالنسبة للمملكة العربية السعودية، فإن المشاركة البناءة مع روسيا تهدف جزئياً إلى الحيلولة دون تعاون روسيا مع إيران أو قطر. وتشارك المملكة العربية السعودية أيضاً تفضيل روسيا لمنطقة حافظت على استقرارها من قبل المستبدّين البراغماتيين غير الإسلاميين. ويُعتبر السيسي المصري هو نموذج لما يمكن أن يعيشه الطرفان. أخيراً وليس آخراً، تعتمد الدولتان على أسعار النفط المرتفعة. وكان التعاون بين روسيا والمملكة العربية السعودية في أواخر عام 2018 عاملاً فعالاً في خفض الإنتاج العالمي من النفط الخام بمقدار 1,4 مليون برميل يومياً، وبالتالي زيادة أسعار السوق.<sup>117</sup>

وبالنظر للميزان التجاري بين البلدين فيما عدا الصفقات ذات المستوى الأعلى حول إنتاج النفط، فإن التجارة الروسية السعودية ضئيلة جداً، حيث تشكّل التجارة الروسية مع السعودية فقط 0,2 في المائة من التجارة الخارجية السعودية في عام 2016، وكانت استثماراتها في الاقتصاد السعودي "ضئيلة".<sup>118</sup> ولسبب ما، لا يستطيع (رجال الأعمال والمسؤولون الروس) كسر هذا السقف الزجاجي ومن الصعب حقاً متابعته. ويقول بارمين عن هذه الصفقات: "هناك الكثير من الوعود ولكن ليس الكثير من العمل، ولكن صادقين".<sup>119</sup>

Wolfgang Mühlberger and Marco Siddi, "In from the Cold: Russia's Agenda in the Middle East and Implications for the EU," *EuroMesco Policy Brief*, No. 91, February 4, 2019, <https://www.euromesco.net/wp-content/uploads/2019/02/Brief91-In-from-the-cold-Russia-Agenda-In-The-Middle-East-1.pdf>.

116 السعودية وروسيا ليستا خصمين، سلمان الدوسري. الشرق الأوسط 5 تشرين الأول/أكتوبر 2017 <https://aawsat.com/home/article/1042826/>

117 "الملك سلمان وبوتين يتفقان علي تعزيز العلاقات السعودية الروسية وضبط سوق الطاقة" صحيفة الحياة 20 شباط/فبراير 2019 [www.alhayat.com/article/4622250/](http://www.alhayat.com/article/4622250/)

118 Grigory Kosach and Elena Melkumyan, "Possibilities of a Strategic Relationship Between Russia and Saudi Arabia," Russian International Affairs Council, *Policy Brief* No. 6, August 2016, [russiancouncil.ru/upload/Russia-SaudiArabia-policy-brief-6-en.pdf](http://russiancouncil.ru/upload/Russia-SaudiArabia-policy-brief-6-en.pdf).

119 Interview, Barmin.

يبدو أن بعض زعماء الخليج يستخدمون موسكو للحصول على المزيد من المكاسب من راعيهم الرئيسي، الولايات المتحدة، كما أن الصِّراع السعودي الإماراتي مع قطر دفع كلا الجانبين إلى التنافس لصالح الكرملين. حيثُ تُجري الدول الثلاث محادثات حول شراء الأسلحة الروسية، وقامت قطر باستثمار كبير ونادر في شركة النفط الروسية (Rosneft) في عام 2016.<sup>120</sup> ولكن تراجعَت بالمقابل علاقة الأمير محمد بن زايد رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، مع روسيا الذي يبدو أنه ينظر إليها كجهة مؤيِّدة للاستبداد المناهض للإسلام.<sup>121</sup>

ومع ذلك، فإن الآمال الروسية في إقامة علاقات أوثق مع عرب الخليج سوف تكافح للتغلب على الضغوط التعويضية من الولايات المتحدة وافتقار روسيا إلى الجاذبية كشريك اقتصادي. وفي حين أن التعاون قد يتكثف في مجالات سياسية واقتصادية مُعيَّنة، يبدو أن موسكو غير قادرة على التنافس مع عمق واتساع تغلغل الولايات المتحدة في منطقة الخليج.

## مصر

تواجه روسيا في مصر بعض العقبات نفسها كما هو الحال في الخليج، لكن يبدو أنها تحقق مزيداً من التقدّم. وبالرغم من أن بوتين سعى بشكل عملي إلى إقامة علاقات جيدة مع محمد مرسي، وهو الرئيس الإخواني المنتخب ديمقراطياً في عام 2012، إلا أنه أيد على الفور الانقلاب العسكري للمشير عبد الفتاح السيسي عام 2013 واستمر في الإشادة بالرئيس المصري منذ ذلك الحين. وقال بوتين للصحفيين في عام 2014: "انظروا فقط"، هناك مشاكل في أفغانستان، والعراق ينهار، وليبيا تنهار، ولو لم يسيطر المشير السيسي على مصر، فمن المحتمل أن تكون مصر في حالة اضطراب الآن.<sup>122</sup>

الداعمون الرئيسيون للمشير السيسي هم الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، لكن روسيا كانت أول دولة دعت السيسي لزيارة دولة بعد الانقلاب، وقد شكر السيسي الرئيس بوتين فيما بعد على هذه الدعوة.<sup>123</sup> كما تدخلت موسكو لبيع الأسلحة لمصر عندما جمّدت واشنطن بشكل جزئي مساعدتها العسكرية للجيش المصري في تشرين الأول/أكتوبر 2013.<sup>124</sup> والتقى بوتين والسيسي تسع مرات منذ عام 2013، وعقدت عدة اجتماعات ثنائية بين وزير الخارجية والدفاع في البلدين.<sup>125</sup> لكن توترت العلاقات المصرية الروسية في تشرين

<sup>120</sup> "السعودية تعزز قدراتها العسكرية بمنظومة s400 الدفاعية الروسية المتطورة" صحيفة الشرق الأوسط 5 تشرين الأول/أكتوبر 2017 <https://aawsat.com/print/1043361>; روسيا تتلقى حصة قطر في روسنفت. العرب (قطر) 24 كانون الأول/ديسمبر 2016. <https://s.alarab.qa/1045321>.

<sup>121</sup> Liz Sly, "In the Middle East, Russia Is Back," *Washington Post*, December 5, 2018, [https://www.washingtonpost.com/world/in-the-middle-east-russia-is-back/2018/12/04/e899df30-aaf1-11e8-9a7d-cd30504ff902\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/world/in-the-middle-east-russia-is-back/2018/12/04/e899df30-aaf1-11e8-9a7d-cd30504ff902_story.html).

<sup>122</sup> "Answers to journalists' questions," Russian Presidency, July 17, 2014, [en.kremlin.ru/events/president/news/46236](http://en.kremlin.ru/events/president/news/46236).

<sup>123</sup> "روسيا تزيد تجارتها مع مصر عقب تردّي علاقاتها بالغرب." *Aljazeera*, August 12, 2014, <https://bit.ly/2NJEON3>.

<sup>124</sup> صحيفة فيدوموستي مصر وروسيا وقعتا بالأحرف الأولى صفقة أسلحة قيمتها 3 مليارات دولار. الأهرام 15 شباط/فبراير 2014. <http://www.ahram.org.eg/NewsQ/259781.aspx>.

<sup>125</sup> "Foreign, defense ministers of Russia and Egypt to meet next week," TASS, May 13, 2018, [tass.com/politics/1003990](http://tass.com/politics/1003990); "1003990," *Sputnik Arabic*, October 16, 2018, [https://sptnkne.ws/jMEb; Sly, "In the Middle East, Russia Is Back](https://sptnkne.ws/jMEb; Sly, ).



الأول/أكتوبر 2015 عندما قصف داعش طائرة روسية كانت تطير من شرم الشيخ إلى سان بطرسبرغ، مما أسفر عن مقتل 225 شخصاً.<sup>126</sup> رفضت السلطات المصرية في البداية الاعتراف بأن الطائرة قد قصفت، مما دفع موسكو إلى إغلاق الرحلات الجوية السياحية - وهي ضربة مؤلمة لاقتصاد مصر المنهك بالفعل. وفي شباط/فبراير 2016، تراجع السيسي، لكن الرحلات لم تستأنف حتى عام 2018 بسبب استمرار الشكاوى الروسية بشأن قدرة مصر على ضمان السفر الجوي الآمن.<sup>127</sup> يشك البعض في أن موسكو ربما تكون قد استخدمت الحظر السياحي للفوز بنتازلات في الشؤون الأمنية.<sup>128</sup>

يبدو أن روسيا تركز على المكاسب الاقتصادية والشؤون الأمنية، ولكنها قد ترى أيضاً قيمة رمزية في إعادة بناء العلاقة مع القاهرة، كما ترى مصر بدورها إمكانية الحد من اعتمادها على الولايات المتحدة، والتي أثبتت في نظر قيادتها الحالية أنها حليفة غير موثوق بها في عام 2011، والاستفادة من الالتقاء العقلاني مع بوتين حول الشؤون الإقليمية. تجمع سياسات السيسي "مصر أولاً" بين مناهضة الإسلاموية والقومية مع التركيز على الاستقرار الإقليمي والسيادة الوطنية، وهو ما يتناسب بشكل ممتاز مع أولويات روسيا الإقليمية.<sup>129</sup>

ما تحتاجه مصر في المقام الأول هو الدعم الاقتصادي، والذي لا تستطيع روسيا تقديمه. ومع ذلك، فقد قدمت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة مليارات الدولارات على شكل دعم اقتصادي لمصر منذ عام 2013، وروسيا حريصة على الحصول على قطعة من الكعكة.<sup>130</sup> سيطرت مبيعات الأسلحة وصادرات الحبوب في الممارسة العملية، على التجارة الروسية مع مصر، والاتفاق على أن تقوم شركة Rosatom ببناء أول مفاعل نووي في مصر، والذي يحتفل به كلا البلدين باعتباره معلماً مهماً.<sup>131</sup>

تكتف التعاون الأمني أيضاً، وكانت هناك منذ عام 2016 شحنات كبيرة للأسلحة وتدريبات عسكرية مشتركة صغيرة ولكنها رمزية.<sup>132</sup> حتى أن روسيا ومصر ناقشتا اتفاقاً يمنح روسيا

<sup>126</sup> "FSB chief: Russian A321 plane blown up by homemade explosive device," TASS, November 17, 2015, tass.com/politics/837087.

<sup>127</sup> "بالفيديو السيسي من أسقط الطائرة الروسية كان يقصد ضرب العلاقات مع روسيا" al-Yawm al-Sabea, February 24, 2016, <http://www.youm7.com/2600385; lyad Qasim>. بوتين يوقع مرسوماً لاستئناف الرحلات الجوية بين موسكو والقاهرة" *Rusiyah al-Yawm*, January 4, 2018, <https://ar.rt.com/jpcr>.

<sup>128</sup> David D. Kirkpatrick, "In Snub to US, Russia and Egypt Move Toward Deal on Air Bases," *New York Times*, November 30, 2017, <https://www.nytimes.com/2017/11/30/world/middleeast/russia-egypt-air-bases.html>.

<sup>129</sup> Michael Wahid Hanna and Daniel Benaim, "Egypt First: Under Sisi, Cairo Is Going Its Own Way," *Foreign Affairs*, January 4, 2018, <https://www.foreignaffairs.com/articles/egypt/2018-01-04/egypt-first>.

<sup>130</sup> On Gulf support to Egypt, see e.g. al-Arabiya, July 9, 2013, <https://www.alarabiya.net/pdfServlet/pdf/eb499ac5-5766-4644-85bf-64aef8a887b1>; Khaled Hosni, "سعودية في مصر" al-Arabiya, June 20, 2014, <https://www.alarabiya.net/pdfServlet/pdf/418ab454-9bca-4292-9bec-5902836f6e12>; Ahmed Sami Metwali, "4 مليار دولار من الإمارات لدعم الاستثمار والاحتياطي النقدي لمصر." al-Ahram, April 23, 2016, [www.ahram.org.eg/NewsQ/503534.aspx](http://www.ahram.org.eg/NewsQ/503534.aspx).

<sup>131</sup> الرئيس السيسي يشيد بالجهود الروسية الجادة لتحقيق التنمية الشاملة في مصر. al-Ahram, January 29, 2019, [gate.ahram.org.eg/News/2103163.aspx](http://gate.ahram.org.eg/News/2103163.aspx).

<sup>132</sup> مصر وروسيا تجريان التدريب المشترك (حماة الصداقة 3) بمشاركة المظلات. al-Masry al-Yawm, October 15, 2018, <http://www.youm7.com/3989617>.

شكلاً من أشكال الوصول إلى القواعد الجوية المصرية.<sup>133</sup> ومع ذلك، كانت مصر حريصة حتى الآن على الحفاظ على شراكة ما بعد السادات مع واشنطن، ويبدو أن تواصل السيسي مع روسيا يمثل محاولة لتنويع علاقاتها مع الولايات المتحدة وليس التخلي عنها. ويُعد مكافحة الإرهاب مجالاً آخر من مجالات الاهتمام المشترك، على الأقل في ضوء تفجير طائرة عام 2015.

تشعر روسيا مثل العديد من الدول الأخرى، بالقلق إزاء التهديدات التي يتعرّض لها النظام الداخلي لمصر، وتنتظر إلى مصر مستقرّة باعتبارها حجر الزاوية لأمن الشرق الأوسط. قتل العنف الإسلامي منذ انقلاب عام 2013 حوالي 1400 من أفراد قوات الأمن المصرية، والتي بدورها قتلت هذا العدد عدّة مرات في حملة لمكافحة الإرهاب اتسمت بعدم الكفاءة والقسوة.<sup>134</sup> ومع ذلك، فقد عرضت روسيا دعماً كاملاً للسيسي. فعلى سبيل المثال، أشاد سكرتير مجلس الأمن الروسي نيكولاي باتروشيف بجهود الرئيس المصري "لرد هذا الوباء" خلال زيارة إلى القاهرة في ربيع عام 2019.<sup>135</sup>

توفر السياسة الخارجية مجالاً للتعاون بين البلدين. وعلى الرغم من أن مصر لا تتحاز رسمياً إلى أي طرف من النزاع السوري، إلا أن السيسي يميل بوضوح نحو الأسد وهو معادٍ للتمرد في سوريا الذي يهيمن عليه الإسلاميون، والذي يضم أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين ومجموعة صغيرة من الجهاديين المصريين المنفيين. وفي عام 2016، أيّد السيسي ضمناً حكومة الأسد بالقول إن "الجيش الوطنية العربية" يجب أن "تفرض سيطرتها على أراضي دولتها واستعادة الاستقرار" في ليبيا وسوريا والعراق.<sup>136</sup> وتدعم روسيا بالتالي المحاولات المصرية للانخراط في عمليات السلام في سوريا وقد اتبعت سياسات صديقة لمصر في ليبيا.

أشادت صحيفة الأهرام الرسمية بمناسبة زيارة بوتين الأخيرة في عام 2017، بدور روسيا وتأثيرها في الشرق الأوسط، مشيرة إلى أن كلا البلدين يرغب في رؤية الصراعات في سوريا وليبيا والعراق واليمن وقد استقرت على نطاق واسع وجهات النظر حول القضية الإسرائيلية الفلسطينية.<sup>137</sup> من جانبها، ذكرت صحيفة غازيتا الروسية أن السيسي طلب دعم بوتين ضد الإسلاميين في ليبيا وضد اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل. لاحظت الصحيفة بشكل جانبي، أن مترجم السيسي قد خاطب بوتين "بطريق الخطأ أو عن عمد بوتين

<sup>133</sup> In 2017. David D. Kirkpatrick, "In Snub to U.S., Russia and Egypt Move Toward Deal on Air Bases," *New York Times*, November 30, 2017, <https://www.nytimes.com/2017/11/30/world/middleeast/russia-egypt-air-bases.html>.

<sup>134</sup> "Egypt Security Watch: Five Years of Egypt's War on Terror," Tahrir Institute for Middle East Policy, July 24, 2018, <https://timep.org/wp-content/uploads/2018/07/TIMEP-ESW-5YrReport-7.27.18.pdf>.

<sup>135</sup> Abdelalim, الرئيس السيسي يشير بالجهود الروسية  
<sup>136</sup> "السيسي لدعم الجيش الوطنية في سوريا وليبيا والعراق" *al-Arabi*, November 23, 2016, <https://www.al-arabi.com/s/8152>.

<sup>137</sup> رأي الأهرام زيارة بوتين. *www.ahram.org.eg/NewsQ/626905.aspx*. al-Ahram, December 10, 2017.

باسم "صاحب الجلالة"، والذي "عندما عادها للمرة الثالثة" تسبّب في ابتسامة بسيطة من الزعيم الروسي.<sup>138</sup>

## إسرائيل

كانت علاقة روسيا بإسرائيل دائماً وثيقة ومعقدة، وقد جعلها تدخّلها في الصّراع السوري أكثر من ذلك. فمن ناحية، يتحدّث 12 في المائة من سكان إسرائيل اللغة الروسية كلغة أولى، وبوتين هو "الزعيم الأكثر تأييداً لإسرائيل والمؤيّد الأكبر لليهود الذي عرفته روسيا على الإطلاق".<sup>139</sup> من ناحية أخرى، تعمل روسيا الآن بشكل وثيق مع خصوم إسرائيل الرئيسيين، إيران وحزب الله في سوريا، وهي تهيمن على المجال الجوي الذي تسعى إسرائيل إلى حرية التصرف فيه.

على الرغم من العلاقة القوية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، إلا أن الأخيرة قد بذلت جهوداً كبيرة لتبقى علاقتها ودّية مع روسيا. ورفض الدبلوماسيون الإسرائيليون إحباطاً لحلفائها الغربيين، طلب تصويت من الأمم المتحدة يدين ضم شبه جزيرة القرم، ولم تصدر وزارة الخارجية الإسرائيلية سوى بيان غامض حول تسمّم الجاسوس سكريبال في المملكة المتحدة.<sup>140</sup>

وضعت روسيا منذ عام 2015 مجموعة كبيرة من الخطوط الحمراء للنشاط العسكري الإسرائيلي في سوريا. وادّعى المسؤولون الإسرائيليون أن الجيش الروسي يساعد على منع تهريب الأسلحة بين إيران وحزب الله عبر سوريا إلى لبنان، وأن التفاهات الإسرائيلية الروسية قد سمحت لإسرائيل بشن أكثر من 200 غارة جوية ضد أهداف مزعومة مرتبطة بإيران أو حزب الله في سوريا منذ أوائل عام 2017.<sup>141</sup> أبلغ الكرملين إسرائيل بأنها حرّة في فعل ما تشاء، لإحباط دمشق وطهران، على ما يبدو طالما أن هذا لا يعرّض الجنود الروس للخطر أو يززع استقرار نظام الأسد.

تمّ اختبار الخط الأحمر الروسي في أيلول/سبتمبر عام 2018 عندما أسقطت الدفاعات الجوية السورية طائرة روسية قبالة الساحل السوري بالخطأ خلال غارة إسرائيلية، ممّا أدّى إلى مقتل 15 من أفراد الطاقم. وألقت موسكو باللوم على إسرائيل في إثارة الحادث وأعلنت أنها سترد على ذلك عبر التبرّع بصواريخ S-300 إلى سوريا. حتى ذلك الحين، كانت روسيا قد هدّدت

Ignat Kalinin, "Сирия – Египет – Турция: дипломатический блиц Путина," *Gazeta.ru*, December 12, 2017, <sup>138</sup>  
[https://www.gazeta.ru/politics/2017/12/11\\_a\\_11350268.shtml](https://www.gazeta.ru/politics/2017/12/11_a_11350268.shtml). Translated by Liliia Makashova.

12 percent: Joshua Krasna, "Moscow on the Mediterranean: Russia and Israel's Relationship," Foreign Policy Research Institute, <sup>139</sup>  
2018, <https://www.fpri.org/wp-content/uploads/2018/06/krasna2018.pdf>, p. 10; Putin: Trenin 2018, p. 88.

"US 'Surprised' Israel Did Not Support UN Vote on Ukraine's Territorial Integrity," *Jerusalem Post*, April 15, 2014, <sup>140</sup>  
<https://www.jpost.com/International/US-surprised-Israel-did-support-UN-vote-on-Ukraines-territorial-integrity-348564>; Herb Keinon, "

UK not pleased with Israeli response to poison attack on ex-Russian spy," *Jerusalem Post*, March 20, 2018,  
<https://www.jpost.com/Israel-News/Politics-And-Diplomacy/Britain-not-pleased-with-Israeli-response-to-Russian-poisoning-546601>.

Herb Keinon, "Top official: Due to IDF action, Hezbollah only has few dozen accurate missiles," *Jerusalem Post*, 573647; Yoav <sup>141</sup>

Zitun, "IDF says it launched 200 strikes in Syria over past 1.5 years," *YNet*, September 4, 2018,  
<https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-5341135,00.html>. December 6, 2018, <https://www.jpost.com/Middle-East/Senior-official-Russia-helping-stop-weapon-transfers-to-Hezbollah>

مراراً وتكراراً بتسليم نظام الدفاع الجوي القوي إلى سوريا، لكنها دائماً ما توقفت عن القيام بذلك رداً على الضغوط والإغراءات الإسرائيلية.<sup>142</sup>

لكن سرعان ما ازدادت الغارات الجوية الإسرائيلية في سوريا مرة أخرى، ولم يكن أي من الطرفين مستعداً للسماح للحدث بتدمير العلاقات. وفي شباط/فبراير 2019، وافق بوتين أخيراً على مقابلة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، بعد مقاطعة استمرت ستة أشهر. كانت هذه هي المرة الحادية عشرة التي يلتقي فيها الزعيمان شخصياً منذ تدخل روسيا في سوريا عام 2015، ويبدو أن وجود القوات الأجنبية (الإيرانية والأمريكية) في سوريا كان على رأس قائمة الأولويات التي تمت مناقشتها.<sup>143</sup>

### القضية الفلسطينية

كانت قضية إسرائيل - فلسطين ذات يوم قضية مركزية للدبلوماسية السوفييتية والروسية في الشرق الأوسط، لكن مع تلاشي الاهتمام الدولي بالصراع بعد عام 2011، تضاعف اهتمام روسيا بالنشط بها إلى حد ما. تحتفظ موسكو بوجهة نظر تميل بهذه الدرجة أو تلك نحو حل سلمي للقضية الفلسطينية، مستفيدة من إرث الاتحاد السوفياتي المؤيد للفلسطينيين، لكنها توسّعت الآن من خلال المشاركة الفعّالة مع إسرائيل. تبقى روسيا من الناحية السياسية، على مقربة من موقف الاتحاد الأوروبي والمفاهيم الأساسية لاتفاقية أوسلو، وغالباً ما تعبر عن التزامها الصريح بحل الدولتين والحقوق المشتركة في القدس. ومع ذلك، ليس لدى روسيا على عكس معظم الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، أي قلق بشأن التعامل مع حماس أو غيرها من الجماعات المُدرّجة في قائمة الإرهابيين من قبل الولايات المتحدة وأوروبا، وقد اعترفت رسمياً بفلسطين كدولة مستقلة.<sup>144</sup>

اتّخذت موسكو في عام 2017 خطوة غير عادية وهي الاعتراف بالقدس الغربية كعاصمة لإسرائيل، مع الإبقاء على أن القدس الشرقية يجب أن تكون عاصمة فلسطين.<sup>145</sup> يتماشى ذلك مع مطالب منظمة التحرير الفلسطينية، لكن معظم الدول التي تسعى إلى حل الدولتين التزمت بصيغة الأمم المتحدة بأن وضع القدس لا يزال موضوع مفاوضات الوضع النهائي، ولكن إسرائيل تريد المدينة بأكملها. وانتقدت وزارة الخارجية الروسية القرار الأمريكي عندما اعترفت الولايات المتحدة بالقدس كعاصمة لإسرائيل، دون ذكر دور للفلسطينيين واعتبرته بمثابة العائق أمام محادثات السلام.<sup>146</sup>

<sup>142</sup> "Three Russian S-300PM battalion sets delivered to Syria free of charge – source," TASS, October 8, 2018, [tass.com/defense/1025020](https://tass.com/defense/1025020).

<sup>143</sup> Herb Keion, "Netanyahu lands in Moscow for meeting with Putin over Syria," *Jerusalem Post*, February 27, 2019, <https://www.jpost.com/Israel-News/PMs-Moscow-visit-seen-as-symbolic-end-to-tension-over-spy-plane-downing-581834>;

<sup>144</sup> "Russia, Israel to set up working group on removing foreign forces from Syria – source," TASS, February 28, 2019, <http://tass.com/world/1046768>.

<sup>144</sup> Alexei Anishchuk, "Russia's Medvedev backs independent Palestine," Reuters, January 18, 2011, <https://www.reuters.com/article/us-palestinians-israel-russia-idUSTRE70H3VV20110118>.

<sup>145</sup> "Foreign Ministry statement regarding Palestinian-Israeli settlement," Russian Foreign Ministry, April 6, 2017, [www.mid.ru/en/press\\_service/spokesman/official\\_statement/-/asset\\_publisher/t2GCdmD8RNlr/content/id/2717182](http://www.mid.ru/en/press_service/spokesman/official_statement/-/asset_publisher/t2GCdmD8RNlr/content/id/2717182).

<sup>146</sup> "Comment by the Information and Press Department on US recognition of Jerusalem as the capital of Israel," Russian Foreign Ministry, December 7, 2017, [https://washington.mid.ru/en/press-centre/news/comment\\_by\\_the\\_information\\_and\\_press\\_department\\_on\\_us\\_recognition\\_of\\_jerusalem\\_as\\_the\\_capital\\_of\\_isr](https://washington.mid.ru/en/press-centre/news/comment_by_the_information_and_press_department_on_us_recognition_of_jerusalem_as_the_capital_of_isr).

أشار لافروف في تشرين الثاني/نوفمبر 2018، إلى أن روسيا مستعدة لاستضافة محادثات السلام الإسرائيلية الفلسطينية، في محاولة منها على ما يبدو لاستغلال عجز إدارة ترامب عن استئناف المفاوضات، وردّ المسؤولون الفلسطينيون بحماس.<sup>147</sup> وبدأت روسيا في التحضير لمحادثات المصالحة بين الفصائل الفلسطينية الرئيسيين، فتح وحماس، ولكن واجهت على الفور الاعتراضات الإسرائيلية والافتتال الفلسطيني. وتمّ تأجيل زيارة مقرّرة لرئيس حماس إسماعيل هنية إلى روسيا. عندما بدأت المحادثات بين الفلسطينيين في موسكو أخيراً في شباط/فبراير 2019، تضمّنت المجموعة الكاملة من الفصائل الفلسطينية: فتح وحماس والجهة الشعبية لتحرير فلسطين والجهاد الإسلامي وسواهم، لكن الجو العام كان سيئاً للغاية.<sup>148</sup>

## إيران

نمت العلاقات الروسية الإيرانية بعمق حيث عمل البلدان جنباً إلى جنب لدعم الرئيس الأسد، ممّا أدى إلى انطلاق سلسلة من الزيارات الدبلوماسية والعسكرية بين موسكو وطهران. كما أزال الاتفاق النووي لعام 2015 عقبة أمام الارتباط الوثيق، وانضم الكرملين إلى طهران منذ ذلك الحين. أعلنت روسيا كما هو متوقع عن إصابتها "بخيبة أمل كبيرة" نتيجة لقرار الولايات المتحدة بإعادة فرض العقوبات على إيران في عام 2018.<sup>149</sup>

قال الرئيس الإيراني حسن روحاني خلال لقائه مع بوتين في عام 2018 "العلاقات الحالية بين روسيا وإيران لها طبيعة إستراتيجية"، مضيفاً "لم يكن هناك أبداً مستوى من الثقة بين الجانبين في تاريخ بلدنا كما هي اليوم." وافق بوتين لكنه أضاف أنه "لا يزال هناك الكثير الذي يتعيّن القيام به" لتعزيز العلاقات الاقتصادية العميقة.<sup>150</sup>

في الواقع، وفي حين أن الأحداث في سوريا دفعت روسيا وإيران إلى تطوير علاقات من نوع لم يسبق له مثيل من قبل، فإن الجانب الاقتصادي للعلاقة لا يزال ضعيفاً ولم يتحسن في السنوات الأخيرة. هناك أيضاً مصادر توتر داخل سوريا وخارجها، تضخّمها انعدام الثقة التاريخي. فالإيرانيون لم ينسوا المحاولات السوفييتية لاحتلال إيران وتقطيعها.

عندما أعلنت موسكو في عام 2016 أنها ستستخدم قاعدة همدان الجوية الإيرانية لضرب أهداف في سوريا، بناءً على صفقة لم يتم الكشف عنها سابقاً للجمهور الإيراني، واجهت السلطات في طهران ردّة فعل قومية فورية وأثارت غضبها الشديد بسبب افتقار روسيا إلى اللباقة الدبلوماسية. وأكد وزير الدفاع الإيراني للجمهور أنه "لن نوفر للروس تحت أي ظرف من

<sup>147</sup> دعم تحرك روسيا لإحياء العملية السياسية القيادي في منظمة التحرير واصل أبو يوسف. al-Sharq al-Awsat, November 25, 2018, <https://aawsat.com/node/1477086>.

<sup>148</sup> روسيا تعرض عقد اجتماع بين فتح وحماس في موسكو. al-Arabi al-Jadid, December 21, 2018, <https://bit.ly/2ExFqBz>.  
النبة لإفشال حوارات موسكو، أبو مرزوق. Aljazeera, February 19, 2019, <https://bit.ly/2EH6KOM>.

<sup>149</sup> "Comment by the Information and Press Department on the reinstatement of extraterritorial US sanctions against Iran," Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, August 7, 2018, [www.mid.ru/en/diverse/-/asset\\_publisher/zwl2FuDbhJx9/content/kommentarij-departamenta-informacii-i-pecati-mid-rossii-v-svazi-s-vosstanovleniem-eksterritorialnyh-sankcii-ssa-protiv-irana](http://www.mid.ru/en/diverse/-/asset_publisher/zwl2FuDbhJx9/content/kommentarij-departamenta-informacii-i-pecati-mid-rossii-v-svazi-s-vosstanovleniem-eksterritorialnyh-sankcii-ssa-protiv-irana).

<sup>150</sup> "Meeting with President of Iran Hassan Rouhani," Russian Presidency, September 7, 2018, [en.kremlin.ru/events/president/news/58484](http://en.kremlin.ru/events/president/news/58484).

الظروف قاعدة عسكرية، ولم يأتوا إلى هنا ليقفوا.<sup>151</sup> انتهت هذه القضية مع إخراج روسيا من القاعدة مرة أخرى، على الرغم من أن الاستخدام غير المعلن قد تمّ استئنافه منذ ذلك الحين.<sup>152</sup>

ووفقاً لبارمين، "تتوقف علاقة إيران فقط على رغبة بوتين في أن يكون أقرب إلى إيران في سوريا". بالطبع هناك كل أنواع القيود هنا، من حيث العقوبات وغيرها، لكن إضفاء الطابع المؤسسي على العلاقات مع إيران هو ما فشلت موسكو في القيام به وهذا خطأ كبير في التقدير. أعتقد أنه بعد سوريا، قد تتوقف العلاقة، بسبب الخلافات في سوريا ولأنه لا يزال هناك الكثير من الخلافات في الحقول الأخرى، بما في ذلك الغاز وفي الفناء الخلفي المباشر لروسيا: أذربيجان وأرمينيا وبحر قزوين. كل هذه الاختلافات قد تطفو على السطح بعد سوريا.<sup>153</sup>

الاختلافات واضحة بالفعل، وأبرزها محاولات روسيا بناء علاقات أوثق مع أعداء إيران الرئيسيين إسرائيل والمملكة العربية السعودية. يبدو أن تنسيق روسيا لسياسة النفط مع المملكة العربية السعودية مستفيدة من العقوبات المفروضة على إيران، ولم يفشل القادة الإيرانيون في الإشارة إلى حرص موسكو على بيع أنظمة صاروخية مضادة للطائرات من طراز S-400 للسعودية وتركيا، حتى مع اضطرار إيران إلى الانتظار ما يقرب من عقد من الزمن للحصول على نظام S-300 الأقل تطوّراً.<sup>154</sup>

تحاول طهران مثل إسرائيل تجزئة خلافاتها مع موسكو، لكنها غالباً ما ينتهي بها الأمر إلى قبول أن روسيا ترفض اختيار الأطراف، وتفضّل بدلاً من ذلك التفاوض على حلول على أساس كل حالة على حدة. على سبيل المثال، شعرت طهران بالإحباط عندما وافقت روسيا على حظر الأسلحة الذي فرضته الأمم المتحدة ضد المتشدّدين الحوثيين المدعومين من إيران في اليمن في عام 2015. ومع ذلك، بعد ثلاث سنوات، شعرت إيران بالارتياح لرؤية روسيا تستخدم حق النقض (الفيتو) لدفن مشروع قرار كان من شأنه أن يعاقب إيران لانتهاكها الحصار ذاته.<sup>155</sup>

على الرغم من أن القادة الإيرانيين غالباً ما يندمرون من سلوك موسكو، إلا أنهم "لا يستطيعون اختيار الكرز"، ووفقاً لما ذكرته دينا اسفندياري، الخبيرة في السياسة الخارجية الإيرانية: "ليس لديهم الكثير من الحلفاء ولا يزالون ممتنّين لدول مثل روسيا والصين لأن هذه هي الدول التي تعاملت مع إيران في أوقات الشدّة دون ربط حقوق الإنسان وبرنامجها النووي كشرط."<sup>156</sup>

<sup>151</sup> "DM Dehghan: Russia announced use of Hamedan airbase without prior notice," Mehr News Agency, August 22, 2016, <https://en.mehrnews.com/news/119130/Russia-announced-use-of-Hamedan-airbase-without-prior-notice>.

<sup>152</sup> Omid Shamizi, "Iran allows Russia to use airbase for refueling," Anadolu Agency, April 14, 2018, <https://www.aa.com.tr/en/europe/iran-allows-russia-to-use-airbase-for-refueling/1117681>.

<sup>153</sup> مقابلة مع بارمين

<sup>154</sup> Sune Engel Rasmussen and Benoit Faucon, "Russia and Iran, Military Allies, Are Fast Becoming Economic Rivals," *WallStreet Journal*, September 23, 2018, <https://www.wsj.com/articles/russia-and-iran-military-allies-are-fast-becoming-economic-rivals-1537704000>.

<sup>155</sup> "Unanimously Adopting Resolution 2402 (2018), Security Council Renews Sanctions against Yemen, Rejects Alternate Draft after Veto by Russian Federation," United Nations Security Council, 8190th Meeting, SC/13225, February 26, 2018, <https://www.un.org/press/en/2018/sc13225.doc.htm>.

<sup>156</sup> Interview with Dina Esfandiary, a fellow at The Century Foundation and international security program research fellow at the Harvard Kennedy School's Belfer Center for Science and International Affairs, phone, September 2018.

## تركيا

يُعتبر تغيير موقف تركيا السياسي حيال الحرب السورية في العام 2016 هو أكبر المكاسب الروسية الملموسة من الصراع السوري، والذي تُرجم منذ ذلك الحين إلى التعميق السريع لتحوُّل العلاقات الروسية - التركية.<sup>157</sup> كان تحوُّل تركيا في جزء كبير منه يعود لدعم الولايات المتحدة للمسلحين الأكراد السوريين الذين لهم صلة بحزب العمال الكردستاني، والاستيلاء العام من الولايات المتحدة، بدلاً من أي تقارب جديد مع روسيا بوتين. ومع ذلك، استمرَّت العلاقات الروسية التركية بالتعمُّق مع مرور الوقت، ويبدو الآن أنها قد وضعت دينامية خاصة بين الطرفين كما يضاعف أردوغان من لهجته المعادية للغرب.

كتب عالم السياسة التركي سليم كورو في تقرير صدر عام 2018 "يبدو أن الكثير من الدبلوماسية الروسية التركية اليوم تتكوّن من تمرين في تطهير علاقة التأثير الغربي". "يبدو أن كلا البلدين يتفقان على أن النفوذ الغربي هو وجود ضار ومفروض بصمت كما أنه يُسمِّم الحياة اليومية لمواطنيهم."<sup>158</sup>

لم تتعاف التجارة بعد من العقوبات التي فرضتها روسيا على تركيا في الفترة 2015-2017، لكن بوتين وأردوغان يجتمعان الآن أكثر بكثير من اجتماعات أردوغان وترامب، وتوسَّع تعاونهما ليشمل الشؤون العسكرية. كما وقعت تركيا اتفاقية لشراء أنظمة الدفاع الجوي الروسية S-400، في مواجهة الاعتراضات الأمريكية الشديدة.<sup>159</sup>

اكتسبت الدوائر "الأوراسية" الصديقة لروسيا على المستوى الداخلي، قدرًا من التأثير في المؤسسة الأمنية التركية الموالية للولايات المتحدة، ويرجع ذلك جزئياً إلى عمليات التطهير الهائلة التي أعقبت محاولة الانقلاب في تموز/يوليو 2016. ومع ذلك، لا تزال أهميتها غير مؤكدة.

تمارس روسيا وتركيا من خلال سوريا، درجة من النفوذ على الآخر. فروسيا تحتاج إلى تركيا "لتجميد" الخطوط الأمامية مع قوات المتمردين المدعومة من أنقرة في شمال غرب سوريا، وللضغط من أجل حل سياسي يتجنَّب رحيل الأسد. ومن جانبها، تريد تركيا من روسيا أن تمنع دعمها لهجمات الجيش السوري المتجددة التي يمكن أن ترسل مئات الآلاف الإضافية من اللاجئين إلى تركيا، كما تريد منها دعم المصالح التركية في شمال سوريا، مثل أمن الحدود والإجراءات المناهضة لحزب العمال الكردستاني، وربما استئناف التجارة البيئية.<sup>160</sup>

ومع ذلك، فإن مصالحتهم مع بعضهم البعض تتجاوز سوريا. حيثُ يستخدم أردوغان روسيا للحصول على قدر أكبر من الاستقلال العملي عن الولايات المتحدة، ومن أجل الضغط على

Selim Koru, "The Resiliency of Turkey-Russia Relations," Foreign Policy Research Institute, November 2018, <sup>157</sup>  
<https://www.fpri.org/wp-content/uploads/2018/11/bssp2-koru.pdf>.

Koru, "The Resiliency of Turkey-Russia Relations," p. 17. <sup>158</sup>

"Turkey's purchase of S-400s from Russia 'done deal,' FM Çavuşoğlu says," *Daily Sabah*, February 26, 2019, <sup>159</sup>  
<https://www.dailysabah.com/diplomacy/2019/02/26/turkeys-purchase-of-s-400s-from-russia-done-deal-fm-cavusoglu-says>.

Aron Lund, "After Russia-Turkey deal, the fate of Syria's Idlib hangs in the balance," IRIN News, October 2, 2018, <sup>160</sup>  
<https://www.irinnews.org/analysis/2018/10/02/after-russia-turkey-deal-fate-syria-s-idlib-hangs-balance>.

واشنطن لتغيير سياساتها المؤيدة للأكراد. ومع ذلك، وفي حين أنه لا ينبغي تجاهل الأيديولوجية والقومية المناهضة للولايات المتحدة كدوافع حقيقية لسلوك أردوغان، إلا أنه حذر من الانزلاق عميقاً في أحضان روسيا، وعلى وجه الخصوص، إذا انسحبت القوات الأمريكية من سوريا في عام 2019، كما سبق واقتراح ترامب، فقد يمهد ذلك الطريق لإعادة تفعيل العلاقة التركية الأمريكية. إذا كان الأمر كذلك، فستكون هذه نكسة مريرة لموسكو، إذ تتمتع تركيا بمكانة كبيرة لدى روسيا، ليس فقط كجار وشريك تجاري وعضو رئيسي في الناتو، ولكن أيضاً كعقدة محتملة في "النظام العالمي متعدد الأقطاب" والذي يظل بدوره الهدف المُعلن للسياسة الخارجية الروسية.<sup>161</sup> كان ذلك شرطاً مسبقاً لعملية أستانا Astana process، والتي سمحت للمرة الأولى لروسيا، بتشكيل كلاً من جيرانها الرئيسيين في الشرق الأوسط، في ترتيب تعاوني تحت الإشراف الروسي.

بالنظر إلى تركيز روسيا الاستراتيجية الطويل الأمد على إيران وتركيا في الشرق الأوسط، فمن المُحتمل أن تشعر موسكو بسعادة غامرة لرؤية توسيع ترتيب على طراز أستانا ليشمل قضايا إقليمية أخرى. ومع ذلك، سيكون هذا القول أسهل من القيام به، بالنظر إلى عدم وجود أساس مؤسسي واضح لهذا التعاون والعديد من مجالات الخلاف بين الدول الثلاث.

## المستوى الدولي

على الرغم من أن دور روسيا في الشرق الأوسط قد نما منذ تدخلها في الصراع السوري في العام 2015، إلا أن مغامرة بوتين السورية قد حققت نتائج مختلطة إلى حد ما على المستوى الدولي. من المؤكد أن الحرب قد ساعدت على رفع مكانة موسكو السياسية واستعادة بعض من قوتها العظمى التي فقدتها في عام 1991، وتحقيق هدف واحد مُهم للسياسة الخارجية الروسية ما بعد الاتحاد السوفييتي. كما أضعفت شهية الغرب لتغيير النظام والحرب بالوكالة في الشرق الأوسط. وبالرغم من أن الفوز في العالم العربي جيد ومفيد بالنسبة للسياسة الخارجية الروسية، إلا أن رؤيتها الاستراتيجية لا تزال قائمة على الولايات المتحدة، وتظل هذه العلاقة مضطربة وغير متكافئة.

لم يساعد التدخل العسكري الروسي في سوريا في عام 2015 - في تحدٍ لآمال بوتين- في تجاوز نزاعاتها مع الغرب بشأن أوكرانيا، ولم تخلق نفوذاً ذا معنى على الولايات المتحدة وأوروبا في قضايا أخرى. وبدلاً من تغيير موقفها من روسيا، تنسحب الولايات المتحدة الآن ببساطة من النزاع، وتترك موسكو مسؤولة عن وضع فوضوي غير مستقر لا يقدم غنائم واضحة للمنتصر. وفي الوقت نفسه، تستمر العلاقات الروسية - الغربية في التدهور في جوانب وأمور أخرى، كما يتضح من انهيار معاهدة الأسلحة النووية عام 2019، وهي جزء أساسي في هيكل مراقبة الأسلحة بين الولايات المتحدة وروسيا.

وبقدر ما ساهم الصّراع السوري في التدهور العام للعلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا، فقد يتفوق ذلك على أية مكاسب تحققت في الشرق الأوسط. لا يزال بوتين يتحدى، لكن من خلال



مضاعفة السياسات المواجهة والمناهضة للغرب، وقد ينتهي به المطاف إلى إثقال روسيا بالتزامات سياسية ومالية لا تستطيع تحمّلها واقعياً. حيث يعتمد اقتصاد روسيا على المواد الهيدروكربونية، وقد ساهمت العقوبات الغربية في اختلال وظيفتها. أصبح السّخّط الاجتماعي من جديد مصدر قلق حقيقي للكرملين، وخاصة بعدما طرح بوتين في عام 2018 إصلاحات<sup>162</sup> المعاشات التقاعدية والتي لم تحظ بتأييد شعبي. وحتى بند ميزانية الرئيس الخاصة بحيواناته الأليفة وميزانية الجيش، تعاني الآن من التخفيضات. لم يتم في عام 2016، وللمرة الأولى منذ أن أصبح بوتين رئيساً في عام 1999 زيادة الإنفاق العسكري الروسي. وبدلاً من ذلك، تمّ خفض الإنفاق بنسبة 20 بالمائة.<sup>163</sup>

يكن وراء الموقف الإقليمي الطمّوح لروسيا ورسالتها المنتصرة، الواقع المقلق المُتمثل في ضعف الأسس الاقتصادية، والبصمة السياسية / العسكرية التي تقتصر على بلدان وقضايا محدّدة، والافتقار إلى تحالفات موثوقة وذات منفعة متبادلة. بالنظر إلى أن روسيا تواجه أيضاً العديد من المشكلات الصّعبة الأخرى، فهناك قيود صارمة على مقدار القوة التي يمكن أن تطمح إليها موسكو في الشرق الأوسط. والسؤال هو: هل يعترف بوتين بهذا الحد؟

### المصالح الاقتصادية لا تزال هي المفتاح

سعى صنّاع السياسة الروس استجابة للعقوبات التي فرضتها كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى تعزيز التجارة مع الدول غير الغربية، بما في ذلك تلك الموجودة في الشرق الأوسط. ففي العام 2019، على سبيل المثال، أعلن نائب وزير الصناعة الروسي، سيرغي تسيب، أن روسيا تأمل في توقيع اتفاقيات تجارة حرّة مع إسرائيل وإيران ومصر.<sup>164</sup> ومع ذلك، ظلت التجارة الروسية مع منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا محدودة، حيث بلغت 45,5 مليار دولار، أو 8 بالمائة من التجارة العالمية لروسيا في عام 2017. وكان نصف هذا المبلغ تقريباً هو التجارة الروسية التركية (21,6 مليار دولار)، تليها التجارة مع مصر (6,7 مليار دولار) والجزائر (4,7 مليار دولار) وإسرائيل (2,5 مليار دولار) وإيران (1,7 مليار دولار) والإمارات العربية المتحدة (1,6 مليار دولار).<sup>165</sup> يواصل النشاط الاقتصادي الروسي في المنطقة التركيز على مجالات القوة التقليدية: التعاون في مجال الطاقة (النفط والغاز والطاقة النووية) والصادرات الروسية من الأسلحة والحبوب.

Andrei Kolsenikov, "No Left Turn in Russia," Carnegie Moscow Center, November 9, 2018, <sup>162</sup> <https://carnegie.ru/commentary/77683>; Tatyana Stanovaya, "The Illusion of Control: The Kremlin Prepares for Falling Ratings", Carnegie Moscow Center, November 13, 2018, <sup>163</sup> <https://carnegie.ru/commentary/77702>

Global military spending remains high at \$1.7 trillion," SIPRI, May 2, 2018, "<https://www.sipri.org/media/press-release/2018/global-military-spending-remains-high-17-trillion>

"Global military spending remains high at \$1.7 trillion," SIPRI, May 2, 2018, <https://www.sipri.org/media/press-release/2018/global-military-spending-remains-high-17-trillion>.

"Russia plans to sign free trade zone agreements with five countries soon," TASS, February 6, 2019, [tass.com/economy/1043470](http://tass.com/economy/1043470). <sup>164</sup>

"Russia's Trade with the Middle East Countries in 2017," Valdai Club, May 21, 2018, <sup>165</sup> [valdaiclub.com/multimedia/infographics/russia-s-trade-with-the-middle-east-countries-in-2017](http://valdaiclub.com/multimedia/infographics/russia-s-trade-with-the-middle-east-countries-in-2017).

## النفط والغاز والطاقة النووية

يعتمد الاقتصاد الروسي اعتماداً كبيراً على صادرات النفط والغاز، مما يجعله حساساً لتقلبات أسعار النفط. لذلك تُولي موسكو اهتماماً وثيقاً بأسواق الطاقة. وتتمتع روسيا باعتبارها واحدة من أكبر ثلاث دول منتجة للنفط في العالم - والدولتان الأخريان هما الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية - بنفوذ كبير على الإنتاج والسعر.

تعاونت روسيا في السنوات الأخيرة مع منظمة أوبك، كارتل منتجي النفط، وهي ليست عضواً فيها، لرفع الأسعار إلى حوالي 60 دولاراً للبرميل الواحد، وهو المستوى المفضّل لموسكو. عملت روسيا عن كثب مع المملكة العربية السعودية بشأن أسعار النفط منذ عام 2017. وبحلول 2018-2019، كان النفوذ الروسي السعودي كبيراً لدرجة أن أعضاء من أوبك يشكون من تهميشهم. وبدت قطر وإيران في حالة من الاضطراب بشكل خاص.<sup>166</sup> ومع ذلك، لا تزال أسعار النفط تحت الضغط، ومن المتوقع أن يرتفع الإنتاج الأمريكي بشكل ملحوظ في العامين 2019-2020.<sup>167</sup>

روسيا هي أيضاً أكبر منتج للغاز في العالم. وتخدم صادراتها إلى أوروبا وظيفة اقتصادية واستراتيجية. ليس من السهل التعامل مع أسعار الغاز مثل أسعار النفط. فأسواق الغاز ليست عالمية، بل إقليمية وترتبط بطرق النقل مثل خطوط الأنابيب. ومع ذلك، سعت موسكو منذ فترة طويلة إلى زيادة التنسيق مع كبار المصدرين الإقليميين مثل قطر وإيران والجزائر. ومع ذلك، بينما تخلق الطاقة فرصاً للتعاون، تخشى روسيا أيضاً من المنافسة. فعلى سبيل المثال، تشعر موسكو بالقلق من أن إيران قد تقوّض قبضتها على الأسواق الأوروبية. وقد عرضت روسيا مراراً الاستثمار في مشاريع خطوط الأنابيب التي من شأنها أن تجعل الغاز الإيراني ينتقل شرقاً إلى باكستان بدلاً من الغرب إلى أوروبا.<sup>168</sup>

تُعتبر تركيا مشترياً رئيسياً للغاز الروسي، حيث تصدّر بعضه إلى الاتحاد الأوروبي. يمر خطان روسيان عبر الأراضي التركية: BlueStream، الذي تمّ تشييده بين عامي 1997 و 2005، و TurkStream، والتي سيتم تشغيلها بعد تأخير بسبب الاحتكاك الروسي التركي بشأن سوريا بحلول نهاية 2019.<sup>169</sup>

Ariel Cohen, "High Five At OPEC: Russia And Saudi Arabia Agree To 1.2Mbd Production Cut," *Forbes*, December 7, 2018, <https://www.forbes.com/sites/arielcohen/2018/12/07/high-five-at-opec-russia-and-saudi-arabia-agree-1-2mbd-production-cut/#455823886d24>; Summer Said and Benoit Faucon, "Saudi-Russia Ties Raise Concerns Among OPEC Members," *Wall Street Journal*, December 4, 2018, <https://www.wsj.com/articles/saudi-russia-ties-complicate-opec-oil-output-decision-delegates-say-1543959899>;

Nikolay Kozhanov, "Iran threatened by Russia-Saudi oil pact," *Al-Monitor*, February 23, 2019, <https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2019/02/russia-saudis-iran-oil-opec.html>.

Javier Blas, "Texas Is About to Create OPEC's Worst Nightmare," *Bloomberg*, November 21, 2018, <https://www.bloomberg.com/news/articles/2018-11-21/opec-s-worst-nightmare-the-permian-is-about-to-pump-a-lot-more>.

Nikolay Kozhanov, "Russian Policy Across the Middle East: Motivations and Methods," Chatham House, February 21, 2018, <https://www.chathamhouse.org/publication/russian-policy-across-middle-east-motivations-and-methods>, p. 18.

"TurkStream will be operational by end of 2019: Gazprom," *Hürriyet Daily News*, November 9, 2018, [www.hurriyetaidailynews.com/turkstream-will-be-operational-by-end-of-2019-gazprom-138724](http://www.hurriyetaidailynews.com/turkstream-will-be-operational-by-end-of-2019-gazprom-138724).

شركة روساتوم Rosatom المملوكة للدولة الروسية هي أيضاً الشركة الرائدة عالمياً في مجال بناء محطات الطاقة النووية، رغم أنها بدأت تواجه منافسة من الصين، ويُعتبر الشرق الأوسط سوقاً مهماً للشركة. قامت Rosatom بالفعل ببناء مفاعل بوشهر في إيران وتقوم الآن ببناء محطة للطاقة النووية في تركيا، بعقد قيمته 20 مليار دولار، كما وقعت الشركة صفقات لبناء مفاعلات في مصر والسودان.<sup>170</sup>

### الصّادرات العسكرية

تُعتبر تجارة الأسلحة جزءاً مهماً من علاقة موسكو بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا منذ الحقبة السوفييتية. وفي حين اتخذت معظم صادرات الحقبة السوفييتية شكل تبرعات ذات دوافع سياسية، أو مبيعات بقروض طويلة الأجل، أو قروض نادراً ما يتم سدادها، فإن روسيا تبيع الأسلحة من أجل الربح. وتُعد منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا سوقاً كبيراً للأسلحة الروسية، حيث تمثل ما يقرب من خمس الصادرات في 2013-2017.<sup>171</sup> ومع ذلك، لا تزال روسيا متخلفة كثيراً عن الولايات المتحدة في إجمالي عمليات تسليم الأسلحة إلى الشرق الأوسط، وذلك بسبب المشتريات الضخمة من قبل المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى للأسلحة الأمريكية.<sup>172</sup>

لطالما كانت الجزائر أهم عملاء روسيا في المنطقة، وواحدة من أهم العملاء على مستوى العالم. وكانت الجزائر وفقاً لـ "معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام SIPRI"، ثالث أكبر مستورد للأسلحة الروسية في العالم خلال فترة العشرين عاماً 1997 - 2007، بعد الهند والصين. واحتلت دولتان أخريان في الشرق الأوسط هما إيران ومصر، المرتبة السادسة والسابعة.<sup>173</sup> استوردت الجزائر في السنوات الأخيرة دبابات روسية من طراز T-90 وطائرات مقاتلة من طراز SU-30 ودفاعات جوية من طراز S-300 وصواريخ إسكندر الباليستية وغيرها من المعدّات المتطورة.<sup>174</sup> وبالنتيجة النهائية فقد ذهب أربعة أخماس صادرات الأسلحة الروسية إلى أفريقيا في الأعوام 2013-2017 إلى الجزائر.<sup>175</sup>

لقد كان التدخل الروسي في سوريا بمثابة فرصة تسويقية لروسيا، التي أعلنت عن أسلحتها وتمّ اختبارها على أرض المعركة في سورية.<sup>176</sup> وقد قدرّ المحلّلون الروس في عام 2016 أن هذا التدخل يمكن أن يجلب 6 إلى 7 مليارات دولار من مبيعات الأسلحة. حيثُ قدرّ المحلّلون

<sup>170</sup> "Russia leads the world at nuclear-reactor exports" *The Economist*, August 7, 2018, <https://www.economist.com/graphic-detail/2018/08/07/russia-leads-the-world-at-nuclear-reactor-exports>.

<sup>171</sup> According to SIPRI, the Middle East (which is defined as including Egypt) accounted for 11 percent of Russian arms export in 2013–2017 and Africa for another 13 percent. Of sales to Africa, four fifths went to North African nations (78 percent to Algeria, 1 percent to Libya). SIPRI Arms Transfers Database ([www.sipri.org](http://www.sipri.org)) and "Trends in International Arms Transfers, 2017," SIPRI, March 2018, [https://www.sipri.org/sites/default/files/2018-03/fssipri\\_at2017\\_0.pdf](https://www.sipri.org/sites/default/files/2018-03/fssipri_at2017_0.pdf), p. 4, 7.

<sup>172</sup> "Trends in International Arms Transfers, 2017," SIPRI, p. 10.

<sup>173</sup> Figures drawn from the SIPRI Arms Transfers Database ([www.sipri.org](http://www.sipri.org)), December 2018.

<sup>174</sup> Andrew McGregor, "Defense or Domination? Building Algerian Power With Russian Arms," *Jamestown Institute-Eurasia Daily Monitor*, Vol. 15, No. 122, September 5, 2018, <https://jamestown.org/program/defense-or-domination-building-algerian-power-with-russian-arms>.

<sup>175</sup> "Trends in International Arms Transfers, 2017," SIPRI, p. 4.

<sup>176</sup> Kofman and Rojansky 2018, pp. 14–15.

الروس في عام 2016 أن التدخل يمكن أن يجلب 6 إلى 7 مليارات دولار من مبيعات الأسلحة، كدليل على التكنولوجيا العسكرية وعن طريق اختيار روسيا في دور قوة عظمى منتصرة، لأن "الناس لا يشترون الأسلحة من الخاسرين".<sup>177</sup> لقد ارتفعت مبيعات الأسلحة بالفعل منذ عام 2015، وأعلن عملاء جدد - مثل تركيا وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة - عن اهتمامهم بشراء الأسلحة الروسية. سيكون اقتحام أسواق الخليج خطوة مهمة إلى الأمام بالنسبة لروسيا.

### الحبوب

برزت روسيا بعد عقد من الزيادة في المبيعات، كأكبر مُصدّر للقمح في العالم في عام 2016، مدعومة بزيادة حقيقية في القدرة وحقيقة أن الانخفاض في الروبل ساعد التجار الروس على التغلب على حبوب الاتحاد الأوروبي الأكثر تكلفة. وتجاوزت إيرادات روسيا من الصادرات من الزراعة 20 مليار دولار في عام 2017 وتخطت مبيعات الحبوب مبيعات الأسلحة كمصدر للدخل بالنسبة لروسيا، ممّا دفع وزير الزراعة السابق إلى المزاح بأنه أصبح "النفط الثاني في البلاد".<sup>178</sup>

يوجد العديد من المستوردين الرئيسيين للحبوب الروسية في الشرق الأوسط مثل مصر وتركيا، وفي الآونة الأخيرة السودان. وتأمل روسيا أيضاً في اقتحام السوق الجزائري الكبير، الذي كان حتى الآن احتكاراً فرنسياً حقيقياً.<sup>179</sup>

### صادرات روسيا من الأسلحة للشرق الأوسط

**2010-1991**

<sup>177</sup> Alec Luhn, "Russia's campaign in Syria leads to arms sale windfall," *The Guardian*, March 29, 2016, <https://www.theguardian.com/world/2016/mar/29/russias-campaign-in-syria-leads-to-arms-sale-windfall>.

<sup>178</sup> "Russia has emerged as an agricultural powerhouse," *The Economist*, November 29, 2018, <https://www.economist.com/business/2018/12/01/russia-has-emerged-as-an-agricultural-powerhouse>.

<sup>179</sup> Agnieszka de Sousa and Anatoly Medetsky, "Europe Has Most to Lose From Russia's Expanding Wheat Empire," *Bloomberg*, October 1, 2018, <https://www.bloomberg.com/news/articles/2018-10-01/europe-has-most-to-lose-from-russia-s-expanding-wheat-empire>; "Blé russe ou blé français ? : L'Algérie face à un choix décisif," *El Watan*, October 14, 2018, <https://www.elwatan.com/a-la-une/ble-russe-ou-ble-francais-lalgerie-face-a-un-choix-decisif-14-10-2018>.



إن النظرة الروسية القائمة لمستقبل المنطقة تحفز المشاركة المستمرة، وتشجع الاستقرار وتدمير التهديدات الجديدة عند ظهورها، ولكن أيضاً لأن الاحتياجات الإقليمية تخلق فرصاً للصادرات الروسية. يبدو أن النجاح في سوريا، كما هو، قد أوجد أيضاً شهية جديدة للمشاركة من أجل المنفعة.

## روسيا وليبيا

انضمت روسيا في ليبيا، التي لا تزال في حالة من الفوضى، إلى مصر والإمارات العربية المتحدة في دعم الجنرال خليفة حفتر، أمير الحرب الليبي القوي الذي تضاعفت محاولته للحصول على السلطة كمعارض للإسلاميين.<sup>180</sup> أقام ضباط المخابرات العسكرية الروس (GRU) معسكراً في شرق ليبيا إلى جانب مرتزقة من مجموعة فاغنر "منظمة روسية شبه عسكرية وصفها البعض بأنها شركة عسكرية خاصة".<sup>181</sup>

ومع ذلك، فإن روسيا ليست مرتبطة بالجنرال حفتر. وتركز سياستها "الحكيمة للغاية" على المكاسب العملية وتشمل الحفاظ على العلاقات مع خصوم حفتر الإسلاميين في طرابلس، "لأن هذا هو المكان الذي يوجد فيه الكعكة".<sup>182</sup> أعلنت روسيا في أواخر عام 2018 عبر إطلاقها شبكة واسعة من العلاقات، أنها ترى دوراً حتى لابن القذافي سيف الإسلام في مستقبل ليبيا. وأوضح نائب وزير الخارجية بوغدانوف: "نحن ندعم الجميع، ولا نعتقد أنه يجب عزل أي شخص أو استبعاده من لعب دور سياسي بناءً"، مضيفاً أن "سيف الإسلام يتمتع بدعم بعض القبائل في ليبيا، ولكل هذه الأسباب يجب أن يكون جزءاً من العملية السياسية الشاملة بالشراكة مع القوى السياسية الأخرى".<sup>183</sup> يبدو أن المشاركة الروسية في ليبيا تخدم مجموعة متنوعة من المصالح التي لا ترقى بالضرورة إلى استراتيجية كاملة أو خطة طويلة الأجل. كما يساعد العمل مع الجنرال خليفة حفتر على تعزيز العلاقات مع مصر والإمارات وقد يمنح موسكو بعض النفوذ المستقل. إن دور ليبيا كمنتج رئيسي للنفط ونقطة انطلاق لسفن اللاجئين يجعل البلاد مهمة بالنسبة لأوروبا، ويمثل هذا السبب حافز إضافي بالنسبة لروسيا لاستمرار فعاليتها بالملف الليبي. ومع ذلك، وبالرغم من أن روسيا قد أشارت إلى أنها يمكن أن تتوسط بين القوى الليبية المتنافسة، إلا أنها لم تنتج شيئاً يشبه حتى الآن خطة لإعادة ليبيا مرة أخرى.<sup>184</sup> يبدو أن

<sup>180</sup> As a colonel in the Libyan army, Hefter defected from Gaddafi's forces in the 1980s and went into exile in the United States, where he was widely assumed to be working with the CIA. In 2011, he returned to Libya alongside the NATO intervention forces, emerging as one of several strongmen in the Benghazi region of eastern Libya. In recent years, Hefter – now styling himself as field marshal – spearheaded an Egyptian- and Emirati-backed offensive against jihadi and Muslim Brotherhood influence, unsuccessfully attempting to topple a rival Islamist-led, Qatari-backed government in Tripoli.

<sup>181</sup> See e.g. Tom Newton Dunn, "Putin Troops in Libya," *The Sun*, October 8, 2018, <https://www.thesun.co.uk/news/7448072/russia->

[missiles-libya-warlord](https://www.thesun.co.uk/news/7448072/russia-missiles-libya-warlord); Paul Goble, "Moscow Laying Groundwork for Deeper Military Involvement in Libya," *Eurasia Monitor-Jamestown Foundation*, November 13, 2018, <https://jamestown.org/program/moscow-laying-groundwork-for-deeper-military-involvement-in-libya>; Kirill Semenov, "Russia sends its own signals on Libya by hosting Hifter," *al-Monitor*, November 12, 2018, <https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2018/11/russia-libya-haftar-military.html>.

<sup>182</sup> Interview Jalel Harchaoui, French researcher focusing on Libya at Paris 8 University, Online, October 2018.

<sup>183</sup> وسيا لسيف الإسلام القذافي دور في المشهد السياسي الليبي، صحيفة القدس العربي 25 كانون الأول/ديسمبر 2018. <https://bit.ly/2SBVozn>.

<sup>184</sup> روسيا تسعى للعب دور الوساطة بين الأطراف الليبية. صحيفة الأخبار 3 آذار/مارس 2017.

<https://www.elkhabar.com/press/article/119054>.

الدبلوماسيين والمحللين الروس يرون ليبيا "غير مستعدة تماماً لأي نوع من الحل".<sup>185</sup> وإذا حدث هذا التغيير، فقد تتطوّر ليبيا إلى منطقة أخرى حيث يحاول الكرملين تجنيد دول عربية وعربية في جهد مشترك لتعزيز التعاون، سواء لتعزيز الأهداف المشتركة (مثل الاستقرار الليبي) أو إعادة تكوين علاقتها مع بروكسل وواشنطن.

## روسيا ولبنان

تُعتبر علاقة روسيا مع ليبيا من بعض النواحي بمثابة ارتباط اختياري، لكن نفوذ روسيا المتنامي في الشرق الأوسط قد خلق أيضاً التزامات جديدة وقضايا جانبية تحتاج إلى معالجة. على الرغم من أن لبنان في حد ذاته له أهمية محدودة بالنسبة لموسكو، إلا أن البلد يلعب دوراً كبيراً في استراتيجيات الأمن القومي في سوريا وإيران وإسرائيل، وبما أنه يتموضع بالقرب من إيران وسوريا، فإنه يوفر بيئة أكثر ودية لروسيا ممّا كان عليه في الماضي. كما يمكن أن يؤدي نفوذ حزب الله المتنامي إلى زعزعة الاستقرار الداخلي وإشعال حروب مع إسرائيل، الأمر الذي يثير قلق روسيا أيضاً.

عمّقت روسيا منذ عام 2015، اتصالاتها مع السياسيين وأصحاب الأعمال اللبنانيين، بمن فيهم رئيس الوزراء سعد الحريري. وقد فتحت عدة مراكز ثقافية روسية في لبنان وتعمل على إعادة اللاجئين إلى سوريا، وهي قضية شائعة بين اللبنانيين.<sup>186</sup> وانتقلت الشركات الروسية أيضاً إلى التنقيب عن الغاز في الخارج، بناءً على اتفاقيات مماثلة لتلك المُبرّمة مع سوريا.<sup>187</sup>

أحد الأهداف الروسية الطويلة الأمد هو بناء علاقة مع الجيش اللبناني، الذي تعتبره موسكو بمثابة قناة للتأثير السياسي، بشرط أن تدفع المساعدات الاقتصادية الخليجية الفاتورة، وعندها سيصبح لبنان زبوناً محتملاً.<sup>188</sup> حدّ الضغط الغربي على الجيش اللبناني حتى الآن من تقدم الكرملين. ولكن، وبعد الكثير من المماطلة، عَلم الجانب الروسي أن الجيش اللبناني رفض التبرّع بالذخيرة المجانية من روسيا في عام 2018، والذي أَلقت موسكو باللوم فيه على تدخل الولايات المتحدة.<sup>189</sup> وأشارت التقارير اللاحقة إلى أن الهبة قد تقبلها بدلاً من ذلك هيئة أمنية

<sup>185</sup> مقابلة مع نوت

Mohanad Hage Ali, "Our Comrades in Beirut," Carnegie Middle East Center, April 25, 2018, <https://carnegie-mec.org/diwan/76164>; <sup>186</sup>

Mohanad Hage Ali, "Moscow Time?," Carnegie Middle East Center, September 7, 2018, <https://carnegie-mec.org/diwan/77192>;

Mohanad Hage Ali, "Land of Opportunity," Carnegie Middle East Center, January 30, 2019, <https://carnegie-mec.org/diwan/78239>.

Nour Samaha, "Is Lebanon Embracing a Larger Russian Role?," *The Century Foundation*, August 7, 2018, <sup>187</sup>

<https://tcf.org/content/commentary/lebanon-embracing-larger-russian-role-country>.

<sup>188</sup> The United States is the main patron of the Lebanese armed forces, but refuses to provide advanced weapons that could limit Israel's freedom of action in Lebanon or fall into the hands of Hezbollah. In an analysis of Russian policy published in the Lebanese armed forces quarterly *al-Difaa al-Watani al-Lubnani*, Col. George al-Khouri notes that Moscow is "trying to take advantage of the Western hesitation" to equip Lebanon for the "war on terror." George al-Khouri, *السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان*. الدفاع الوطني اللبناني عدد رقم 105 تموز/يوليو 2018 <https://www.lebarmy.gov.lb/sites/default/files/105.pdf>, p. 33-34.

<sup>189</sup> راند جابر "اتفاقية عسكرية روسية لبنانية قريباً تفتح الباب على مرحلة جديدة من العلاقات". الشرق الأوسط 7 شباط/فبراير 2018. لبنان يرفض هبة عسكرية روسية. الأخبار 26 كانون الثاني 2018. <https://aawsat.com/node/1167016>. <https://goo.gl/zimupS>.

داخلية مرتبطة بالحريري، وتسعى لصالح موسكو لإدارة علاقته الصعبة مع دمشق وحزب الله.<sup>190</sup>

## ميزة السلطوية

أصبح معظم القادة الغربيين ينظرون إلى فلاديمير بوتين كشخصية غير موثوقة ومحبطة للغاية، لكن يبدو أن بعض الحكام في الشرق الأوسط يرون في نظامه ضوء مختلف. من المحتمل أن يكون التعامل مع روسيا أقل أهمية بالنسبة لملك أو رئيس استبدادي من التعامل مع الدول الديمقراطية في أوروبا أو الولايات المتحدة، حيث يتم تقييد اتخاذ القرار من قبل الصحفيين الفضوليين، والنقاش العام المتقلب، والصريح (حتى لو كان غير صادق) الالتزام بالقيم الليبرالية. بوتين حاكم أكثر من ذلك بكثير: إنه يتبع نهجاً للمعاملات في السياسة، وليس لديه طموح لنشر الديمقراطية (أو أي أيديولوجية أخرى) ويمكنه تسوية الصفقات بمصافحة دون انتظار موافقة البرلمان. باختصار، تتمتع روسيا في أقل مناطق العالم ديمقراطية، بميزة استبدادية.

يغتتم الدبلوماسيون الروس كل الفرص التي يمكنهم الحصول عليها لتسليط الضوء على سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وأحياناً يدخلون في النزاعات المتعلقة بحقوق الإنسان ويقولون بأن روسيا ليست طرفاً فيها.

على سبيل المثال، عندما غضبت المملكة العربية السعودية بسبب الانتقادات الكندية لسجنها للمعارضات البارزات العام 2018، انتقد متحدث رسمي روسي الكنديين وأكد أن الرياض "لها الحق السيادي في تقرير كيفية المضي قدماً".<sup>191</sup> كما نفى بوتين عندما تسبّب مقتل الصحافي المنشق جمال خاشقجي في تشرين الأول/أكتوبر 2018 في توتر العلاقات بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية الفضيحة، واستقبل ولي العهد الأمير محمد بن سلمان في اجتماع لمجموعة العشرين.<sup>192</sup>

وبالمثل، نقل بوتين على الفور، عندما جمّدت الولايات المتحدة بشكل مؤقت مبيعات الأسلحة إلى مصر استجابة للانقلاب العسكري الذي قام به السيسي عام 2013 والقمع الذي تلاه، عرضاً

<sup>190</sup> Anna Borshchevskaya and Hanin Ghaddar, "How to Read Lebanon's Acceptance of Russian Military Aid," Washington Institute for Near East Policy, December 7, 2018, <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/how-to-read-lebanons-acceptance-of-russian-military-aid>.

<sup>191</sup> "Russia says Saudi Arabia critics shouldn't claim superiority," Associated Press/Washington Post, August 8, 2018, [https://www.washingtonpost.com/world/the\\_americas/russia-says-saudi-arabia-critics-shouldnt-claim-superiority/2018/08/08/e2e33622-9b2e-11e8-a8d8-9b4c13286d6b\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/world/the_americas/russia-says-saudi-arabia-critics-shouldnt-claim-superiority/2018/08/08/e2e33622-9b2e-11e8-a8d8-9b4c13286d6b_story.html).

<sup>192</sup> "Statement from President Donald J. Trump on Standing with Saudi Arabia," the White House, November 20, 2018, <https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/statement-president-donald-j-trump-standing-saudi-arabia>; Kate Sullivan, "Top Republicans slam Trump for statement backing Saudi Arabia," CNN, November 21, 2018, <https://edition.cnn.com/2018/11/20/politics/top-republicans-slam-trump-saudi-arabia-khashoggi/index.html>; "Vladimir Putin Meets with Members of the Valdai Discussion Club. Full Transcript of the Plenary Session of the 15th Annual Meeting," Valdai Discussion Club, October 18, 2018, [valdaiclub.com/events/posts/articles/vladimir-putin-meets-with-valdai-discussion-club](http://valdaiclub.com/events/posts/articles/vladimir-putin-meets-with-valdai-discussion-club); "Kremlin sees no reason to question Saudi Royal Family's statements on Khashoggi case," TASS October 26, 2018, [tass.com/politics/1027980](http://tass.com/politics/1027980); "Putin and Saudi crown prince high five," BBC, November 30, 2018, <https://www.bbc.com/news/av/world-46405802/putin-and-saudi-crown-prince-high-five>.

<sup>195</sup> "Putin vows to boost Egypt arms sales," Al Jazeera English, August 12, 2014, <https://www.aljazeera.com/news/middleeast/2014/08/putin-vows-boost-egypt-arms-sales-20148121660566289.html>.



بالأسلحة الروسية بدلاً من الأسلحة الأمريكية.<sup>193</sup> وفي عام 2017، تجاوزت مبيعات الأسلحة الروسية إلى مصر بشكل كبير مبيعات الولايات المتحدة لأول مرة منذ عام سبعينات القرن العشرين.<sup>194</sup>

لقد أوضحت روسيا منذ فترة طويلة أنها تتجاهل الأوامر الغربية بشأن الحاجة إلى عزل "الدول المارقة"، مشيرة، إلى أن الولايات المتحدة تتخذ موقفاً مختلفاً إلى حد ما تجاه حلفائها غير الديمقراطيين. ومع ذلك، يبدو أن الكرملين يكتف الآن رعايته للاستبداديين الذين نبذتهم الولايات المتحدة. وتحرض مثل هذه الحكومات عموماً على إقامة علاقة مع روسيا، وقد أعجب الكثيرون بالدفاع القوي من الكرملين عن حليفته في سوريا. ويُعتبر السودان مثال على ذلك. حيث كانت هناك مذكرة باعتقال رئيسها عمر البشير منذ عام 2009 لمحاكمته في المحكمة الجنائية الدولية بتهمة الإبادة الجماعية. ولكن في عام 2017، استضاف بوتين البشير في موسكو، وأشاد به بوتين لوقوفه ضد الممارسات الأمريكية العدائية واقترح إنشاء مستودع إمدادات البحرية الروسية على ساحل البحر الأحمر في السودان.<sup>195</sup>

ظهرت فكرة إنشاء قاعدة بحرية روسية في البحر الأحمر مرة أخرى في مقابلة أجرتها Sputnik News مع الميجور جنرال الهادي آدم، رئيس لجنة الدفاع والأمن بالبرلمان السوداني عام 2019. في ذلك الوقت، كان السودان يشهد احتجاجات متنامية في الشوارع ضد حكم البشير، ويبدو أن آدم لديه تاريخ حديث في ذهنه: "كل دولة تحتاج إلى حليف والحليف الاستراتيجي، كما قد تقول، هو الشخص الذي هو صديق في أوقات الحاجة، عندما يتخلى عنك الآخرين". وأضاف آدم "إننا نرى هذا الآن، على سبيل المثال، في العلاقة الاستراتيجية بين روسيا وسوريا."<sup>196</sup>

## من يُدير سياسة الشرق الأوسط الروسية؟

تُعتبر وزارة الخارجية الروسية وجه روسيا الذي يظهر للعالم الخارجي، وينظر إليها معظم مراقبي الشرق الأوسط على أنها وقحة سياسياً لكنها مؤهلة ومدربة جيداً، إذ يتمتع بعض الدبلوماسيين الروس بمعرفة رائعة للغة العربية.<sup>197</sup> كما يصف الدبلوماسيون الغربيون سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي منذ عام 2004، بأنه محترف ماهر وذو خبرة عالية ولديه

<sup>193</sup> "Putin vows to boost Egypt arms sales," Al Jazeera English, August 12, 2014,

<https://www.aljazeera.com/news/middleeast/2014/08/putin-vows-boost-egypt-arms-sales-20148121660566289.html>.

<sup>194</sup> For details, see SIPRI's arms trade database at [www.sipri.org](http://www.sipri.org).

<sup>195</sup> "البشير يطلب من روسيا حماية لمواجهة أمريكا العدائية" طه عبد الواحد الشرق الأوسط 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2017.

<sup>196</sup> "روسيا ترد على اقتراح البشير بشأن القاعدة العسكرية في السودان" Sputnik News, September 6, 2018, <https://aawsat.com/node/1093336>; <https://sptkne.ws/hJbU>.

<sup>196</sup> "السودان يلح إلى إقامة قواعد عسكرية روسية على أراضيه" Sputnik News, January 12, 2019, <https://sptkne.ws/k2D7>.

<sup>197</sup> Syrian opposition figures involved in talks with Russian diplomats since the 2015 intervention have noted strong language skills among Foreign Ministry personnel. One person interviewed in Lebanon in 2015 expressed surprise at how fluently his Russian interlocutors conversed and even took notes in Arabic. Others felt spied-on by diplomats who seemed to know more than they let on:

"They seem to know Arabic. They don't say anything, but sometimes you can tell from their body language that they understand," noted a Syrian interviewed in Turkey in 2018.

ذاكرة رائعة للتفاصيل وقدرة على مناقشة حتى أكثر النقاط سخافة وذات وجه صريح.<sup>198</sup> يشرف على دبلوماسية الشرق الأوسط أحد نواب لافروف، ميخائيل بوغدانوف، الذي يتحدث باللغة العربية وحاصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الروسية المصرية، وهو مبعوث بوتين الشخصي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ويتمتع بوغدانوف، بتقييم عالي من الدبلوماسيين الغربيين.<sup>199</sup> في حين أن بوغدانوف هو نائب وزير الخارجية الوحيد المكلف على وجه التحديد بالشرق الأوسط، فإن بعض زملائه التسعة يشغلون مناصب ذات صلة. حيث يتولى سيرغي ريباكوف إدارة الشؤون الأمريكية ولكنه مسؤول أيضاً عن الملف النووي الإيراني، ويتولى أوليغ سيرومولوتوف رئيس أول جهاز الاستخبارات الفيدرالي السابق (FSB)، حقبة مكافحة الإرهاب.<sup>200</sup> وفي آذار/مارس 2018، تمّ ترقية الرئيس السابق لمكتب الشرق الأوسط بالوزارة، سيرغي فيرشينين، والذي يتقن العربية جيداً، إلى رتبة نائب وزير الخارجية، وهو ما يُعتبر تهميشاً لبوغدانوف إلى حدٍ ما. لعبت شركة فيرشينين دوراً رئيسياً في الإشراف على الدبلوماسية حول سوريا.<sup>201</sup>

يحذر نيكولاي كوزانوف، وهو دبلوماسي روسي سابق وخبير في شؤون الشرق الأوسط من أنه: على الرغم من هذه المجموعة الرائعة من المواهب، فإن "وزارة الخارجية ليست هيكلًا لصنع القرار" ويقول:

"إنها في الأساس خدمة بريدية، حيث تستقبل الوزارة الرسائل الواردة من البلدان الأخرى وترسل الرسائل التي يُطلب منهم إيصالها. أما بالنسبة لهيكل اتخاذ القرار، فهذا يعتمد على القضية. قد يكون مجلس الأمن في الاتحاد الروسي أو مجموعة معينة من الناس داخل مجلس الأمن. ويتم التعامل مع بعض القضايا من قبل الرئاسة أو من قبل أشخاص معينين في الرئاسة، أو في الواقع من قبل الرئيس نفسه".<sup>202</sup>

يُعتبر مجلس الأمن الروسي هيئة استشارية يعيّنها ويرأسها الرئيس نفسه، ويتولى المجلس مهمة التخطيط الاستراتيجي الشامل.<sup>203</sup> وتتألف مجموعته الأساسية المؤلفة من 12 عضواً من وزراء مجلس الوزراء الذين يحملون حقائب خارجية أو أمنية، ورؤساء الاستخبارات، وغيرهم من المسؤولين الرئيسيين. ومن الجدير بالذكر غياب المتخصصين الاقتصاديين على سبيل المثال. شغل خلف بوتين كرئيس FSB، نيكولاي باتروشيف، منصب سكرتير مجلس الأمن منذ عام 2008، لكن نفوذ المجلس قد نما في السنوات الأخيرة، بحيث أصبحت كل "مسألة تقريباً في كل مجال من مجالات صنع السياسة الروسية" مسألة تتعلق بالأمن القومي.<sup>204</sup>

<sup>198</sup> مقابلة مع دبلوماسيين غربيين 2018.

<sup>199</sup> A Western diplomat familiar with Bogdanov describes him as "among the most astute, well-informed, careful and insightful Arabists I have known," adding that "he is devoid of illusions about the Arab world and would push back against any tendencies toward mission creep." Communication with the author, 2015.

<sup>200</sup> For a list of Russia's deputy foreign ministers, see [www.mid.ru/en/about/structure/deputy\\_ministers](http://www.mid.ru/en/about/structure/deputy_ministers).

<sup>201</sup> Interviews, analysts and non-Russian officials, 2018.

<sup>202</sup> Author's interview with Nikolay Kozhanov, Skype, 2016.

<sup>203</sup> Moneghan 2017, p. 21; Hedenskog, Persson and Vendil Pallin 2016, p. 100. For an official presentation of the Security Council, including its membership, see "About Security Council," Russian Presidency, [en.kremlin.ru/structure/security-council](http://en.kremlin.ru/structure/security-council).

<sup>204</sup> Hedenskog, Persson and Vendil Pallin 2016, p. 100.

إن الدور الضخم الذي يلعبه مسؤولو الأمن القومي في صنع السياسة الروسية يخلق انحيازات هيكلية خاصة به، ووفقاً لما ذكره يوري بارمين الذي يقول إن كبار الشخصيات العسكرية والاستخباراتية يبدو أنها تعطي الأولوية للأهداف الإيديولوجية والعسكرية الاستراتيجية على الخيارات الاقتصادية المستدامة. وأشار إلى أن العديد من كبار المسؤولين كانوا يشككون في المملكة العربية السعودية منذ حروب الشيشان، ويبدو أنهم تراجعوا عن المحاولات الروسية لتعميق العلاقات مع الخليج: "بالطبع، الدبلوماسيون أكثر انفتاحاً ولكن عندما يتعلق الأمر في الشرق الأوسط، لا يلعب الدبلوماسيون الدور القيادي بل: النخب الأمنية." وأضاف بارمين: "ما زال الكثير منهم يعتقدون أن (الخليج) ملعب أمريكي"<sup>205</sup>.

قامت وزارة الدفاع منذ التدخل العسكري الروسي في سوريا في عام 2015، إلى حد كبير بتطوير السياسة في سوريا بالتشارك مع الرئاسة. وطغى مقر القيادة العسكرية الروسية في "حميميم" تماماً على دور السفارة الروسية في دمشق.<sup>206</sup> ومع ذلك يدير فيرشينين في المسائل الدبلوماسية، اللعبة إلى جانب المبعوث الرئاسي لسوريا الكسندر لافنترييف.<sup>207</sup>

يسيطر الرئيس في نهاية المطاف على جميع القرارات الرئيسية للسياسة الخارجية، إلى الحد الذي تبدو فيه وضع السياسة "في طريق مسدود عندما يغيب فلاديمير بوتين".<sup>208</sup> ومع ذلك فإن بوتين معروف بأنه يتشاور مع دائرة داخلية، والتي يبدو أنها تهيمن عليها بشدة شخصيات الأمن القومي، وهم قطع من نفس القماش مثل الرئيس. على سبيل المثال، قال بوتين إنه أمر بغزو شبه جزيرة القرم في عام 2014 بعد مناقشات مع وزير الدفاع سيرغي شويغو وثلاثة مسؤولين كبار آخرين وكلهم من كبار السن من الكي جي بي منذ أيام سان بطرسبرغ: رئيس أركان رئاسة الجمهورية سيرغي إيفانوف، ونيكولا باتروشيف ورئيس FSB ألكسندر بورتنيكوف.<sup>209</sup> ويبدو أن القرارات المتعلقة بالمخاطر الكبيرة في الشرق الأوسط، مثل التدخل في سوريا عام 2015، من المفترض أنها اتخذت في وضع مماثل.<sup>210</sup>

## قاديروف: وكيل أو مستقل؟

من العناصر المميّزة لدور روسيا في الشرق الأوسط الدبلوماسية الشخصية لرئيس الشيشان رمضان قاديروف. وقدّم نفسه كرجل مفيد للإسلام، وقام، وفقاً لطريقة موسكو، باستغلال الإسلام السنّي، كما أنه أيّد الصوفية ضد التعاليم السلفية، وقد أمر، بفرض بعض عناصر

<sup>205</sup> مقابلة مع بارمن

<sup>206</sup> Interviews, Western officials and diplomats, 2015 and 2018. In December 2018, a round of urgent talks with Turkey on how to handle the US withdrawal from northeastern Syria was attended by Foreign Minister Sergey Lavrov, Defense Minister Sergey Shoigu, Chief of the General Staff Valery Gerasimov, Presidential Envoy for Syria Alexander Lavrentiev and presidential aide Yury Ushakov – a delegation that was two-fifths military/Defense Ministry, two-fifths presidential and one-fifth diplomat. "Turkey, Russia agree on coordination in Syria amid US withdrawal," *Hürriyet Daily News*, December 29, 2018, [www.hurriyetdailynews.com/turkey-russia-agree-on-military-coordination-in-syria-amid-us-withdrawal-140110](http://www.hurriyetdailynews.com/turkey-russia-agree-on-military-coordination-in-syria-amid-us-withdrawal-140110).

<sup>207</sup> Interviews, Western officials and diplomats, 2018.

<sup>208</sup> Hedenskog, Persson, and Vendil Pallin 2016, p. 99; Zygar 2018, p. 330 ff.

<sup>209</sup> Zygar 2018, s. 378.

<sup>210</sup> A Security Council meeting that dealt with Syria policy in December 2018 was, according to the state-owned TASS news agency, attended by President Vladimir Putin, Prime Minister Dmitry Medvedev, the speakers of both parliamentary chambers, Valentina Matviyenko and Vyacheslav Volodin, Security Council Secretary Nikolai Patrushev, Interior Minister Vladimir Kolokolov, Foreign Minister Sergey Lavrov, Defense Minister Sergei Shoigu, FSB Director Alexander Bortnikov, SVR Director Sergei Naryshkin, and Special Presidential Representative for Nature Protection, Ecology, and Transport Issues Sergei Ivanov. "Putin, Security Council discuss Syrian settlement – Kremlin," TASS, December 28, 2018, <http://tass.com/politics/1038369>.

الشريعة في الشيشان.<sup>211</sup> كان يقابل حكمه القوي والغريب الأطوار في الداخل نشاط سياسي وديني نشيط في الخارج. حيث أقام قاديروف على وجه الخصوص، علاقات مع العديد من أفراد العائلة المالكة في دول الخليج، وعقد اجتماعات شخصية مع الأمراء الأقوياء في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومع الملك السعودي سلمان وأمير قطر.<sup>212</sup>

يرتبط أحد جوانب نشاط قاديروف بالمسائل الأمنية. حيث قام على سبيل المثال، بتزويد روسيا بقوات لمساندة التدخل الروسي في سوريا. كما تم تقديم خدمات عسكرية تجارية للحكومات في الخليج.<sup>213</sup> كما يشارك قاديروف في الدبلوماسية الدينية، والمشاريع الإنسانية وغيرها من تمارين القوة الناعمة كجزء من التوعية الأوسع نطاقاً والتي يبدو أنها مصممة لإظهاره كراع للإسلام السنّي المُستوحى من الصّوفية.<sup>214</sup> وفي سوريا، على سبيل المثال، مؤلت الحكومة الشيشانية مشاريع رفيعة المستوى لترميم مسجد حلب الكبير ومسجد خالد بن الوليد في حمص.<sup>215</sup>

إن المدى الذي يعمل به قاديروف نيابة عن الكرملين لا يزال غير واضح إلى حدٍ ما. وعلى الرغم من أن العلاقة بين بوتين وقاديروف هي بلا منازع علاقة الراعي والعميل، يبدو أن الزعيم الشيشاني يتصرّف بشكل مستقل وليس من الواضح دائماً من يستخدم من.

لا يسافر قاديروف إلى الخارج كمبعوث رسمي لموسكو، لكنه مع ذلك يتم استقباله بصفته الشخصية الزائرة والمدعوّة للحديث عن العلاقات الثنائية مع روسيا. كما كان معروفاً بجلب المسؤولين الروس ورجال الأعمال للقاء أفراد العائلة المالكة في الخليج.

ومع ذلك، هناك أحياناً احتكاك مع الكرملين، خاصّة فيما يتعلق بنشاط قاديروف الديني الفضفاض. ففي آب/أغسطس 2016، عقد قاديروف مؤتمراً لاهوتياً للسنة التقليدية وغير السلفية في غروزني. وكان من بين الحاضرين كبار رجال الدين السنة الذين عينتهم الدولة من سوريا ومصر والأردن، بالإضافة إلى شخصيات صوفية لها صلات بالإمارات العربية المتحدة

<sup>211</sup> Fred Weir, "Kremlin frets as Russia's once restive Islamist region takes up political Islam," *Christian Science Monitor*, September 20, 2017, <https://www.csmonitor.com/World/Europe/2017/0920/Kremlin-frets-as-Russia-s-once-restive-Islamist-region-takes-up-political-Islam>.

<sup>212</sup> "قديروف" أمي قطر يلتقي قاديروف ويقبل دعوته لزيارة غروزني. *Rusiya al-Yawm*, January 19, 2016, <https://ar.rt.com/hbfx>; بن سلمان يبحث مع رئيس الشيشان العلاقات الثنائية، *al-Arabiya*, August 22, 2018, <https://www.alarabiya.net/pdf/Servlet/pdf/541ed6c4-59f6-42b5-9d8d-ef2c188a1157>; رئيس الشيشان يلتقي الملك سلمان ويطوي مرحلة مؤتمر غروزني. *al-Khaleej Online*, October 7, 2018, <https://bit.ly/2EspZuo>;

"Russia al-Yawm, November 20, 2018, <https://ar.rt.com/31x>; <https://bit.ly/2EspZuo>;

<sup>213</sup> رئيس الشيشان يقر بإرسال جنود لسوريا ولقائهم ماهر الأسد *al-Khaleej Online*, January 24, 2017, <https://bit.ly/2NE3yGv>; Neil Hauer, "A War Within a War: Chechnya's Expanding Role in Syria," *Syria Deeply*, November 30, 2017, <https://www.newsdeeply.com/syria/articles/2017/11/30/a-war-within-a-war-chechnyas-expanding-role-in-syria>; Neil Hauer, "Russian diplomacy in Syria bolstered by Muslim minority outreach," *Middle East Institute*, February 6, 2018, [www.mei.edu/content/article/russias-north-caucasian-outreach-syria](http://www.mei.edu/content/article/russias-north-caucasian-outreach-syria); Neil Hauer, "Princely ties: The growing Chechnya-Gulf security relationship," *Defense Post*, December 27, 2018, <https://thedefensepost.com/2018/12/27/russia-chechnya-gulf-security-relationship>.

<sup>214</sup> Hassan Hassan, "Moscow's Little-Noticed Islamic-Outreach Effort," *The Atlantic*, January 5, 2019, <https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2019/01/russia-promotes-politically-pacifist-islam/579394>.

<sup>215</sup> "قاديروف الرئيس الأسد شكرنا على المساعدات. *Watan*, April 26, 2017, [alwatan.sy/archives/101475](http://alwatan.sy/archives/101475); دياب يشكر الشيشان على عزمها ترميم جامع حلب الكبير. *al-Watan*, May 15, 2017, [alwatan.sy/archives/103769](http://alwatan.sy/archives/103769).

وغيرها من الحكومات العربية المناهضة للإسلام.<sup>216</sup> اختتم قادиров الاجتماع نتيجة لخوفه من بعض الحاضرين، بإعلان أنه وافق على بيان يطرد السلفية من جماعة الإسلام السنّي.<sup>217</sup> وأثارت "فتوى المؤتمر" التي مرّت بتحريض من قادиров رد فعل غاضب ضد روسيا من رجال الدين السلفيين في المملكة العربية السعودية، ووجد بعض رؤاد المؤتمر أن الموقف محرج للغاية لدرجة أنهم أعلنوا عدم رضاهم ورفضهم علانية لما حدث.<sup>218</sup> واضطر قادиров نتيجة لذلك إلى القيام بجولة في الخليج لإصلاح العلاقات، موضحاً أنه لم يكن ضد السلفيين "الحقيقيين"، بل ضد القسم السنّي منهم.<sup>219</sup> أثار قادиров بعد مرور عام غضب موسكو مرّة أخرى من خلال تنظيم مظاهرات كبيرة بتحدٍ في غروزني للاحتجاج على دعم روسيا لحكومة ميانمار، التي تتهم بقتل المسلمين الروهينجا.<sup>220</sup>

## ظاهرة فاغنر

كان هناك دور متعاظم لمقاولي الأمن الروس أو المرتزقة في مناطق الصراع في السنوات الأخيرة. ويعتبر هذا السوق غامضاً وسريع التنظيم.<sup>221</sup> وتعتبر مجموعة فاغنر Wagner الشركة المشاركة الأبرز، والتي اكتسبت الاهتمام أولاً في أوكرانيا، ثمّ في سوريا، ويُعتقد أن المتعاقدين مع فاغنر يمثلون نسبة كبيرة من مجموع الخسائر الروسية.<sup>222</sup>

تشكّلت فاغنر في عام 2013، والتي يسيطر عليها رجل الأعمال يفغيني بريغوزين، وهو حليف لبوتين له علاقات مع الجيش الروسي، بدعم كبير من وزارة الدفاع بسبب أنشطتها في سوريا بعد عام 2015. ونشرت الشركة في ذروتها في عام 2016، "معدّات وقوة عاملة تعادل فوج مشاة، مع إمكانية الوصول إلى الدبابات والمدفعية الصاروخية ومدافع الهاوتزر والدعم الجوي

<sup>216</sup> Kristin Smith Diwan, "Who Is Sunni?: Chechnya Islamic Conference Opens Window on Intra-Faith Rivalry," Arab Gulf States Institute in Washington, September 16, 2016, [www.agsiw.org/who-is-a-sunni-chechnya-islamic-conference-opens-window-on-intra-faith-rivalry](http://www.agsiw.org/who-is-a-sunni-chechnya-islamic-conference-opens-window-on-intra-faith-rivalry);

<sup>217</sup> "Who are the Ahl al-Sunna?" Final Statement of the Grozny Conference, August 27, 2016, <https://chechnyaconference.org/material/chechnya-conference-statement-english.pdf>.

<sup>218</sup> "كبار العلماء تحذر من النزعات بين الفرق الإسلامية" al-Arabiya, September 2, 2016,

<https://www.alarabiya.net/pdfServlet/pdf/31bc07de-b6e5-49f9-9c5a-c267b4d4718e>; Walid Abderrahman , al-Sharq al-Awsat, November 19, 2016, <https://aawsat.com/node/787826>.

<sup>219</sup> رئيس الشيشان للشرق الأوسط علاقاتنا مع السعودية طويلة الأمد ولا تتأثر بالتغييرات العالمية al-Sharq al-Awsat, November 20, 2016, <https://aawsat.com/node/788361>

رئيس الشيشان يلتقي الملك سلمان ويطوي مرحلة مؤتمر غروزني al-Khaleej Online, October 7, 2010, <https://bit.ly/2EspZuo>.

<sup>220</sup> Kathrin Hille, "Chechen ruler hits out at Russia over Myanmar policy," *Financial Times*, September 4, 2017, <https://www.ft.com/content/f25212fa-918d-11e7-bdfa-eda243196c2c>.

<sup>221</sup> Nils Dahlgvist, "Russia's (not so) Private Military Companies" Swedish Defence Research Agency (FOI), FOI MEMO 6653, January 2019, <https://www.foi.se/rapportsammanfattning?reportNo=FOI%20MEMO%206653>.

<sup>222</sup> John Sparks, "Revealed: Russia's 'Secret Syria Mercenaries'," Sky News, August 10, 2016, <https://news.sky.com/story/revealed-russias-secret-syria-mercenaries-10529248>. Moscow has acknowledged only 112 military deaths between September 2015 and September 2018, but journalists had by then tracked "over a hundred" additional Russian deaths among security contractors. "Russia lost 112 servicemen over three years of counter-terror operation in Syria - MP," TASS, September 30, 2018, [tass.com/defense/1023714](http://tass.com/defense/1023714);

María Tsvetkova, "Military veterans to Kremlin: Come clean about Syria mission," Reuters, July 5, 2018, <https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-russia-contracto/military-veterans-to-kremlin-come-clean-about-syria-mission-idUSKBN1JV2QL>.

من وزارة الدفاع الروسية.<sup>223</sup> ولكن يبدو أن عمليات فاغنر في سوريا قد تباطأت منذ عام 2016. وقيل إنه يتم تمويل أنشطة الشركة في ذلك الوقت من خلال صفقات بين الشركات المرتبطة مع بريغوزين والحكومة السورية.<sup>224</sup> وفي كانون الأول/ديسمبر 2017، نشرت وكالة الأنباء AP ما يبدو أنه عقد بين Evro Polis، وهي شركة مملوكة لشركة بريغوزين، وشركة نفط سورية مملوكة للدولة. ووفقاً لهذه الوثيقة، التي لم تؤكد عليها وكالة AP، ستحصل Evro Polis على نسبة 25 في المائة من عائدات أي حقول نفط أو غاز يتم الاستيلاء عليها نيابة عن دمشق.<sup>225</sup> وممّا لا يثير الدهشة، أن فاغنر قد اتهمت بالعمل كواجهة لشركة GRU الأمريكية، لكن يرى آخرون أنها مؤسسة تجارية لها روابط قوية مع بيئة الأمن القومي، وتمّ إنشاؤها لكسب تفضيل مع الكرملين.<sup>226</sup> يبدو أن الخط غير واضح بالتأكيد، ولا يستبعد أي منهما الخط الآخر.<sup>227</sup>

زعمت القوات الأمريكية أنها قتلت في شباط/فبراير 2018، ما بين 200 و 300 من الأفراد الذين هاجموا حلفاء الولايات المتحدة في شرق سوريا، في انتهاك لخط فك الارتباط الذي تفاوض عليه ضباط أمريكيون وروس. وتباينت تقديرات الخسائر، لكن قيل إن معظم المهاجمين كانوا من موظفي فاغنر، بما في ذلك عدد غير محدد من الضباط الروس.<sup>228</sup> كان رد فعل الحكومة الروسية بطريقة غير معتادة، غير راغبة في قبول المسؤولية عن الغارة أو تصعيد العداء رداً على ذلك. ولا زال الكثير من التفاصيل حول الحادث غير واضحة.

## الاستنتاجات: استراتيجية أم ارتجال؟

يبدو أن القليل من المحللين يعتقدون أن روسيا تتبع استراتيجية واضحة في الشرق الأوسط، إلى جانب الاسترشاد بمصالح معينة، مثل التعاون في مجال الطاقة ومكافحة الإرهاب والتجارة، والمخاوف، مثل الاضطرابات السياسية، والنفوذ الأمريكي، والإسلام السني.

يبدو أن الدور الحالي للكرملين في الشرق الأوسط ضمن هذه المعايير، كان خطوة بخطوة، حيث تطوّر استجابة لتغير القيود المحلية والدولية. ووفقاً لثرينين، فإن الزيادة في التدخل الروسي في المنطقة "جاء بالصدفة تقريباً" وأضاف: "لو لم يكن هناك ربيع عربي لما كان هناك حاجة لإظهار عزم روسيا، وعضلات روسيا، وقدرة روسيا على تحديد بعض السياسات

Dahlqvist 2019, p. 2. <sup>223</sup>

المرجع السابق <sup>224</sup>

Nataliya Vasilyeva, "Thousands of Russian private contractors fighting in Syria," Associated Press, December 12, 2017, <sup>225</sup>  
<https://www.apnews.com/7f9e63cb14a54dfa9148b6430d89e873>

Andrey Pertsev, "Overhyped: How "Putin's Chef" Became One of the Most Influential People in Russia," Carnegie Moscow Center, <sup>226</sup>  
February 19, 2019, <https://carnegie.ru/commentary/78390>.

"Another example is Konstantin Malofeev, an ultra-conservative businessman who funded paramilitary groups in Ukraine," <sup>227</sup>  
according to Martin Kragh, head of the Russia-Eurasia program of the Swedish Institute for International Affairs: "One might call it  
extrabudgetary resources – financing that does not appear in the state budget and remains invisible, but that can still be very  
important." Interview with Martin Kragh, Stockholm, November 2018.

Thomas Gibbons-Neff, "How a 4-hour battle between Russian mercenaries and U.S. commandos unfolded in Syria," *New York Times*, <sup>228</sup>  
May 24, 2018, <https://www.nytimes.com/2018/05/24/world/middleeast/american-commandos-russian-mercenaries-syria.html>.

الأمريكية في الشرق الأوسط، وربما كانت روسيا قد اتخذت نهجاً أقل نشاطاً تجاه المنطقة. لكن التقاء تلك الحقائق أدّى إلى ما رأيناه في عام 2015".<sup>229</sup>

الافتراضات بأن يجب أن يكون لروسيا شكل من أشكال الخطة الرئيسية لمنطقة الشرق الأوسط ضرباً من المبالغة. إنها حقيقة أن ردود أفعال الدول الغربية على الأحداث منذ عام 2011، وإلى حدٍ كبير كانت ردوداً مرتجلة. ولكن لماذا كانت روسيا مختلفة؟ على أي حال، من الصعب أن نتخيل نوع الخطة التي يمكن أن تفود موسكو بطريقة مثمرة خلال الفوضى في السنوات الأخيرة.<sup>230</sup>

"أعتقد أن فكرة وجود استراتيجية لدى موسكو مستمدة من حقيقة أن الكثير من الدول الغربية، بما في ذلك الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ليس لديها مثل هذه الاستراتيجية"، وقال خبير السياسة الخارجية الروسي مكسيم سوشكوف في هذا الصدد: "عندما ينظرون إلى ما تفعله موسكو، يبدو الأمر ناجحاً إلى حدٍ ما، لذلك يجب أن تكون هناك بعض الإستراتيجية وراءه". وأضاف أنه لا يرى بالضرورة عدم وجود استراتيجية روسية كعامل سلبي: "فيما يتعلق بالمزايا، الشرق معقد ومضطرب لدرجة أنه من الصعب حقاً التفكير فيه قبل عدة سنوات".<sup>231</sup>

لكن عدم وجود خطة أو صيغة روسية صريحة للشرق الأوسط لا يعني أن الدبلوماسية الروسية تعمل في الفراغ أو بشكل عشوائي. على النقيض من ذلك، يبدو أن روسيا تعمل على تحديد مكانة محدّدة للغاية في البيئة السياسية في الشرق الأوسط: بيئة تتمتع بمكانة ذاتية وبراغماتية.<sup>232</sup> تبدو الخطة الروسية بمثابة ترسيخ استراتيجي من خلال التطبيق العملي، بدلاً من التخطيط أو العقيدة. لكن، بقدر ما يتم تأسيسها والاعتراف بها، فإن هذا الأمر قد يضيف مع ذلك، بعض الاتساق في المستقبل إلى السياسة الروسية في الشرق الأوسط والتي تتميز حتى الآن بالتطوّر المستمر والارتجال الانتهازي.

على الرغم من تكاليف السُمعة التي لحقت بروسيا والتي لا يمكن إنكارها، والتوترات المتصاعدة مع الولايات المتحدة، فإن مشاركة روسيا مع الشرق الأوسط بعد عام 2011 قد جلبت فوائد صافية: مكانة عالمية معرّزة ونفوذ إقليمي أكبر، وبعض الاستثمارات الاقتصادية الجديدة وزيادة في النفوذ على الخصوم الغربيين. حسب المعطيات الحالية، يبدو دور البلد في المنطقة فعالاً ومستداماً.

ومع ذلك، لا تزال هناك أسئلة جدية حول صحة روسيا الهيكلية والاقتصادية، وحول مقاربة بوتين للسياسة الخارجية. إذا كان طموح الكرملين المتصاعد - والتراجع الغربي الحتمي-

<sup>229</sup> مقابلة مع ترينين

<sup>230</sup> As Andrew Moneghan notes, "assertions of a Russian 'master plan' often simply amount to joining up some dots of difficulties of strategy-making and any Russian internal complexities." Moneghan 2017, p. 5. various externally visible activities and deducing that they are driven by a strategic agenda – regardless of the inherent

<sup>231</sup> مقابلة مع شوكوف

<sup>232</sup> According to Hanna Notte, "The way Russia portrays its Middle East policy – or its Syria policy for that matter – is as that of the conservative, responsible global power that protects minorities in the Middle East and advocates for a truly multipolar world, standing against Western unilateralism and regime change policies that force the West's understanding of democratization or of social and political change on the region." Interview, Notte.

سينتهي بهما الأمر إلى خلق التزامات باستنزاف الموارد في أماكن أخرى، أو ينشر إلهام التوعية الروسية في المنطقة، أو فرض التراجع إلى الحزبية على النمط السوفييتي، يمكن أن تتحول استثمارات موسكو في الشرق الأوسط مرة أخرى من مصدر القوة إلى المسؤولية.

## المصادر

### الكتب والتقارير

Abboud, Samer N., *Syria*, Cambridge: Polity, 2016

Amnesty International, "Syria: 'Between prison and the grave': Enforced disappearances in Syria," MDE 24/2579/2015, November 5, 2015, <https://www.amnesty.org/en/documents/mde24/2579/2015/en>

, Arab Center for Research and Policy Studies, 2013 Bishara, Azmi, سورية: درب الألام نحو الحرية. محاولة في التاريخ الراهن

Blank, Stephen, "The Foundations of Russian Policy in the Middle East," Jamestown Institute, October 2017, <https://jamestown.org/wp-content/uploads/2017/10/WS1-Blank-FINAL.pdf>

Dahlqvist, Nils, "Russia's (not so) Private Military Companies" Swedish Defence Research Agency (FOI), FOI-MEMO 6653, January 2019, <https://www.foi.se/rapportsammanfattning?reportNo=FOI%20MEMO%206653>.

Feifer, Gregory, *The Great Gamble: The Soviet War in Afghanistan*, Harper Collins, 2009

Filatova, Irina, "The Lasting Legacy: The Soviet Theory of the National-Democratic Revolution and South Africa," *South African Historical Journal*, Vol. 64, No. 3, 2012

Hammargren, Bitte, "Authoritarian at home and impulsive abroad: Erdogan's foreign policy in the Middle East," UI Brief No. 7, Swedish Institute for International Affairs, June 2018, <https://www.ui.se/globalassets/ui.se-eng/publications/ui-publications/2018/ui-brief-no7.-2018.pdf>

Hokayem, Emile, *Syria's Uprising and the Fracturing of the Levant*, IISS, Routledge, 2013

Human Rights Watch, "Like Walking a Minefield: Vicious Crackdown on Critics in Russia's Chechen Republic," August 2016, [https://www.hrw.org/sites/default/files/report\\_pdf/chechnyao816\\_2.pdf](https://www.hrw.org/sites/default/files/report_pdf/chechnyao816_2.pdf)

International Crisis Group, "The North Caucasus Insurgency and Syria: An Exported Jihad?," Europe and Central Asia Report, No. 238, March 16, 2016, <https://www.crisisgroup.org/europe-central-asia/caucasus/north-caucasus/north-caucasus-insurgency-and-syria-exported-jihad>

Keddie, Nikki R., *Modern Iran: Roots and Results of Revolution*, Yale University Press, 2003

, " *al-Difaa al-Watani al-Lubnani* - السياسة الخارجية الجديدة لروسيا و تأثيرها علي دول الشرق الأوسط ولبنان- al-Khouri, George, " *Lubnani*, No. 105, July 2018, <https://www.lebarmy.gov.lb/sites/default/files/105.pdf>

Kofman, Michael, and Rojansky, Matthew, "What Kind of Victory for Russia in Syria?," *Military Review*, March-April 2018, <https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/military-review/Archives/English/Rojansky-Victory-for-Russia.pdf>

Koru, Selim, "The Resiliency of Turkey-Russia Relations," Foreign Policy Research institute, November 2018, <https://www.fpri.org/wp-content/uploads/2018/11/bssp2-koru.pdf>



Kosach, Grigory, and Melkumyan, Elena, "Possibilities of a Strategic Relationship Between Russia and Saudi Arabia," Russian International Affairs Council, Policy Brief, No. 6, August 2016, [russiancouncil.ru/upload/Russia-SaudiArabia-policy-brief-6-en.pdf](http://russiancouncil.ru/upload/Russia-SaudiArabia-policy-brief-6-en.pdf)

Kozhanov, Nikolay, "Russian Policy Across the Middle East: Motivations and Methods," Chatham House, February 21, 2018, <https://www.chathamhouse.org/publication/russian-policy-across-middle-east-motivations-and-methods>

Krasna, Joshua, "Moscow on the Mediterranean: Russia and Israel's Relationship," Foreign Policy Research Institute, 2018, <https://www.fpri.org/wp-content/uploads/2018/06/krasna2018.pdf>

Lund, Aron, "Syrian Jihadism," Swedish Institute for International Affairs, UI Briefing, No. 13, 2012

Lund, Aron, *Syria's Civil War: Government Victory or Frozen Conflict?*, Swedish Defence Research Agency (FOI), FOI-R--4640--SE, 2018, <https://www.foi.se/rapportsammanfattning?reportNo=FOI-R--4640--SE>

Lynch, Marc, *The New Arab Wars: Uprisings and Anarchy in the Middle East*, New York: Public Affairs, 2016

Marcus, Aliza, *Blood and Belief: The PKK and the Kurdish Fight for Independence*, New York University Press, 2007

McDermott, Roger, "Russia's Strategic Mobility and its Military Deployment in Syria," Swedish Defence Research Agency, FOI Memo 5453/RUFS Briefing, No. 31, November 2015, <https://www.foi.se/rapportsammanfattning?reportNo=FOI%20MEMO%205453>

Monaghan, Andrew, *Power in Modern Russia: Strategy and Mobilization*, Manchester University Press, 2017

Mühlberger, Wolfgang, and Siddi, Marco, "In from the Cold: Russia's Agenda in the Middle East and Implications for the EU," EuroMesco Policy Brief No. 91, February 4, 2019, <https://www.euromesco.net/wp-content/uploads/2019/02/Brief91-In-from-the-cold-Russia-Agenda-In-The-Middle-East-1.pdf>

Nizameddin, Talal, *Russia and the Middle East: Towards a New Foreign Policy*, St Martin's Press, 1999

Notte, Hanna, "Russia in Syria: Domestic Drivers and Regional Implications," Konrad Adenauer Stiftung, Policy Paper, No. 8, January 2017, [www.kas.de/wf/en/33.47817](http://www.kas.de/wf/en/33.47817)

Nygaard, Ida, and Hakvåg, Una, "Why Russia opposes a NATO missile defence in Europe—a survey of common explanations," Norwegian Defense Research Institute (FFI), FFI-2013/00111, January 3, 2013, <https://www.ffi.no/no/Rapporter/13-00111.pdf>

Oldberg, Ingmar, "Is Russia a status quo power?" Swedish Institute of International Affairs, UI Paper, No. 1, 2016, <https://www.ui.se/globalassets/butiken/ui-paper/2016/is-russia-a-status-quo-power---io.pdf>

Olson, Robert, "The Kurdish Question and Chechnya: Turkish and Russian Foreign Policies Since the Gulf War," *Middle East Policy*, Vol. IV, No. 3, March 1996, <https://www.mepc.org/node/4813>

Oxenstierna, Susanne, "Russian Military Expenditure," in Gudrun Persson (ed.), *Russian Military Capability in a Ten-Year Perspective—2016*, Swedish Defense Research Agency (FOI), FOI-R--4326--SE, December 2016

Phillips, Christopher, *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East*, Yale University Press, 2016

Primakov, Yevgeny, *Russia and the Arabs: Behind the Scenes in the Middle East from the Cold War to the Present*, Basic Books, 2009

SIPRI, "Trends in International Arms Transfers, 2017," March 2018, [https://www.sipri.org/sites/default/files/2018-03/fssipri\\_at2017\\_o.pdf](https://www.sipri.org/sites/default/files/2018-03/fssipri_at2017_o.pdf)

Tahrir Institute for Middle East Policy, "Egypt Security Watch: Five Years of Egypt's War on Terror," July 24, 2018, <https://timep.org/wp-content/uploads/2018/07/TIMEP-ESW-5yrReport-7.27.18.pdf>

Trenin, Dmitri, *What Is Russia Up to in the Middle East?*, Polity Press, 2018

Vasiliev, Alexey, *Russia's Middle East Policy: From Lenin to Putin*, Routledge, 2018

Zygar, Michail, *Männern i Kreml: Inifrån Putins hov*, Ordfront, 2018

Åtland, Kristian, Bukkvoll, Tor, Due Enstad, Johannes, and Tønnessen, Truls, "Russlands militære intervensjon i Syria – bakgrunn, gjennomføring og konsekvenser," Norwegian Defense Research Establishment (FFI), FFI 16/00500, March 15, 2016, <https://www.ffi.no/no/Rapporter/16-00500.pdf>

## مقابلات

بارمين، يوري، أخصائي الشرق الأوسط في مجلس الشؤون الدولية الروسي، هاتف آذار/مارس 2019.

تشاندر، جنكيز، زميل أول مشارك في برنامج الشرق الأوسط في المعهد السويدي للشؤون الدولية، ستوكهولم تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

كونتري مان، توماس م.، رئيس جمعية الحد من الأسلحة ومساعد وزير الخارجية الأمريكي السابق للأمن الدولي وعدم الانتشار (2011-2017)، هاتف، كانون الثاني/يناير 2019.

إسفندياري، دينا، زميلة في مؤسسة القرن ومؤسسة أبحاث الأمن الدولي في مركز بيلفر للعلوم والشؤون الدولية بمدرسة هارفارد، هاتف، أيلول/سبتمبر 2018.

غوردون، فيليب ه، زميل أقدم في مجلس العلاقات الخارجية، مساعد خاص سابق لرئيس الولايات المتحدة ومنسق البيت الأبيض لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ومنطقة الخليج (2013-2015) واشنطن العاصمة، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

حتاحت، سنان، زميل أقدم في مركز عمران لدراسات الشرق الأوسط ومع منتدى الشرق، إسطنبول، كانون الأول/ديسمبر 2018.

هيدينسكوغ، جاكوب، نائب مدير الأبحاث بمشروع وكالة أبحاث الدفاع السويدية (FOI) بشأن السياسة الخارجية للدفاع والأمن الروسي (RUFs)، ستوكهولم، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

خضور، خضر، زميل في مركز كارنيغي للشرق الأوسط، هاتف، أيلول/سبتمبر 2018.

كوزانوف نيكولاي، دبلوماسي روسي سابق، باحث غير مقيم في مركز كارنيغي موسكو ومحاضر زائر في الاقتصاد السياسي للشرق الأوسط في الجامعة الأوروبية، سان بطرسبرغ، هاتف، حزيران/يونيو 2016.

كراغ، مارتن، مدير برنامج روسيا-أوراسيا في المعهد السويدي للشؤون الدولية، ستوكهولم، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

بول، ليفين، مدير معهد جامعة ستوكهولم للدراسات التركية (SUITS) وزميل باحث مشارك في برنامج الشرق الأوسط في المعهد السويدي للشؤون الدولية، ستوكهولم، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

ليند، أراس، مديرة برنامج الشرق الأوسط بالمعهد السويدي للشؤون الدولية، ستوكهولم، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

مالي، روبرت، الرئيس والمدير التنفيذي لمجموعة الأزمات الدولية، المساعد الخاص السابق لرئيس الولايات المتحدة ومنسق البيت الأبيض لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ومنطقة الخليج (2015-2017)، واشنطن العاصمة، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

نوت، حنا، المسؤول السياسي لدى مجموعة الشيخ، الهاتف، تشرين الثاني/أكتوبر 2018.

باراشزوك، جوانا، صحفية/محللة متخصصة في الجهادية الروسية، هاتف، أيلول/سبتمبر 2018.

بارسي، روزبة، مدير برنامج الشرق الأوسط في المعهد السويدي للشؤون الدولية، ستوكهولم، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

بيرسون، جودرون، أستاذ مشارك بجامعة ستوكهولم ومدير برنامج مشروع وكالة أبحاث الدفاع السويدية (FOI) حول السياسة الخارجية للدفاع والأمن الروسي (RUFs)، هاتف، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

ساهلين، مايكل، زميل مشارك متميز في معهد جامعة ستوكهولم للدراسات التركية، ستوكهولم، تشرين الأول/أكتوبر 2018 وكانون الثاني/يناير 2019.

سيلسن، أيدين، صحفي وسياسي تركي ودبلوماسي سابق، إسطنبول، كانون الأول/ديسمبر 2018.

ترينين، ديميتري، مدير مركز كارنيجي موسكو، الهاتف، تشرين الثاني/نوفمبر 2018.

سوشكوف، مكسيم، خبير غير مقيم في مجلس الشؤون الدولية الروسي وفي نادي فالداي الدولي للحوار، الهاتف، كانون الثاني/يناير 2019.

ويسترلوند، فريدريك، نائب مدير الأبحاث بمشروع وكالة أبحاث الدفاع السويدية (FOI) بشأن السياسة الخارجية للدفاع والأمن الروسي (RUFs)، ستوكهولم، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

وايزمان، بيتر، باحث أول، معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام (SIPRI)، هاتف، أيلول/سبتمبر 2018.

### حول المعهد السويدي للشؤون الدولية (UI)

تأسس المعهد السويدي للشؤون الدولية (UI) عام 1938، وهو معهد أبحاث مستقل حول الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية. وأي آراء يتم التعبير عنها في هذا المنشور هي آراء المؤلف. ولا ينبغي أن تفسر على أنها تعكس آراء المعهد السويدي للشؤون الدولية. تتم مراجعة جميع المخطوطات من قبل اثنين على الأقل من الخبراء في هذا المجال. حقوق الطبع والنشر لهذا المنشور محفوظة. لا يجوز نسخ محتوى هذا المنشور أو إعادة إنتاجه أو إعادة نشره أو توزيعه بأي شكل من الأشكال باستثناء استخدامك الشخصي وغير التجاري. أي استخدام آخر يتطلب موافقة خطية مسبقة من المستخدم.

#### **The Swedish Institute of International Affairs**

Visiting Address: Drottning Kristinas väg 37, Stockholm

Postal Address: Box 27 035, 102 51 Stockholm

Phone: +46 8 511 768 00

www.ui.se info@ui.se Twitter: @UISweden @ResearchUI